جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

دور النوازل في كتابة تاريخ المغرب الأوسط

كتاب المعيار للونشريسي نموذجاً

ق7- 9هـ/ ق13- 15م.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الأوسط

إعداد الطالبة:
شريفة لحباكي

إشراف:
د/ طاهر بن علي

اللجنة المناقشة

أ/ محمد تكيلين ..... رئيساً
د/ طاهر بن علي..... مشرفاً ومقرراً
أ / مسعود كواتي..... عضواً مناقشاً

الموسم الجامعي: 1435-1436هـ/2014-2015م

بسم الله الرحمن الرحيم
آمين ...

إهداء

الحمد لله فلق الحب والأنوار، جاعل الليل والنهار،
ثم الصلاة و السلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء و المرسلين
أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين أطال الله
في عمرهما وحفظهما وأبقاهما ذخرا وسندا لي في الحياة
على تشجيعهما لي طيلة مشواري الدراسي وتأكيدهما على
مواصلة درب طلب العلم

إلى إخوتي وسندي إذا غدر الزمان بي: زوبير، صالح، شعيب ،

عبد النور، عبد الباقي

ومن تزدهر حياتي بهما: فتيحة وعائشة
إلى عائلة لحباكي، فروحات، بن حيدة.
إلى من كان سندا ودعما في إنجاز مذكرتي وإخراجها
إلى الميدان العلمي والمعرفي وأخص بالذكر
الأستاذ المشرف ـ بن علي الطاهر
إلى الأصدقاء و الصديقات:
فاطمة الزهراء،عمورية،كريمة، حنان، نجوى، راضية، نوال، فتيحة،أحلام، مريم، عامرة، صباح، حليمة، حبيبة، نعيمة، هاجر، فاطنة، عفاف، زهية، بشرى، سعدية، وفاء، شريفة، صورية، وسيلة، إيمان، جهاد، عائشة،و إسماعيل ، ياسين، عمار،

وكل الرفقاء دفعة الماستر وسيط، كل باسمهم ومكانه ومن رفع يديه
ودعى إلى ولو بظهر غيب عسى أن يكون
علما نافعا وصدقة جارية

شريفة لحباكي.

شكر و عرفان

بداية أتوجه بخالص تحياتي وشكري إلى من كان له الدور الكبير في توجيهي وتنوير درب العلم والنجاح وتحمله مشاق الإشراف والسهر على إخراج هذا العمل بصورة متكاملة الدكتور طاهر بن علي حفظه الله وأبقاه نبراساً للمعرفة.

إلى كل من الدكتور كواتي مسعود وإبراهيم بخاز وعبد الجليل ملاخ، و تكيالين محمد، الذين لم يبخلوا عني بنصائحهم العلمية القيمة وتقبل مناقشة هذا العمل .

كما لا يفوتني أن أشكر جميع أساتذة شعبة التاريخ كل حسب تخصصه طيلة مساري الدراسي فجازهم الله عني كل خير.

كما أغتنم هذه الفرصة لتوجيه خالص شكري لدكتورة بوبة مجاني والأستاذة دحماني سهام والشكر موصول إلى عمال مكتبة جامعة غرداية كل بإسمه و اخص بالذكر الأخت رشيدة ، عزيز ، حكيم، من ساعدني من قريب أو بعيد .

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
تح	تحقيق
صح	صحح
تع	تعريب
د.ط	دون طبعة
ط	طبعة
ع	العدد
ج	جزء
مج	مجلد
ه	هجري
م	ميلادي
ص	صفحة
ص- ص	صفحات متتالية
[.....]	كلام مقصوص
ط.م	طبعة مستكملة
ض.م	ضبط متنه
تج	ترجمة
p	PAGE
PP	PAGES CONTUNEIS

مقدمة

مقدمة :

شهدت الدراسات التاريخية التي أقيمت من أجل تاريخ المغرب الإسلامي تطورا كبيراً في ظهور اتجاه جديد من حيث استقصاء المعلومة، فكان تيار النوازل كوثائق جديدة هو الفأس الذي اعتمد عليه المؤرخون في حفر عمودياً في البحث التاريخي، وإبراز الدور الذي تلعب النوازل خاصة في التاريخ الاجتماعي والثقافي، والذي سكتت عنه المصادر والدراسات التقليدية، وتعتبر نوازل المعيار من أهم النوازل التي جمعت لنا حكاية تاريخ المغرب الإسلامي عموماً والمغرب الأوسط خصوصاً، وعليه جاءت دراستي هذه والمتمثلة في: "دور النوازل في كتابة تاريخ المغرب الأوسط كتاب المعيار للونشريسي نموذجاً في ق7-ق9هـ/ق13-ق15م".

الإشكالية العامة للموضوع:

ما هي المادة التاريخية التي تحملها كتب النوازل ويستثمرها المؤرخ في كتابة تاريخ المغرب الأوسط؟

وتتفرع عنها مجموعة من الإشكالات الفرعية:

- ✓ باعتبار أن النوازل وثائق فإلى أي مدى اهتم الباحثون بهذه الوثائق؟
- ✓ وماذا يمكن معرفة عن أبي العباس وكتابة المعيار؟ وماذا حَوت لنا نوازل الونشريسي من تاريخ المغرب الأوسط؟.
- ✓ إلى أي مدى يكمن استغلال كتب النوازل خاصة كتاب المعيار من معرفة الجوانب الحضارية للمغرب الأوسط في القرون الهجرية 7-9هـ؟

ولفك غموض هذه الإشكالات عمدت إلى خطة التي جاءت كالآتي:

تناولت في دراسة هذا الموضوع ثلاثة فصول، فاشتمل الفصل الأول والذي سميته بالنوازل والدراسات التاريخية، على مبحثين تحدث الأول عن النوازل تعريفها وأهميتها وخصائصها، وأما الثاني فكان حول النوازل واهتمامات المؤرخين لها، وتضمن أربعة مطالب عنونتهم: باهتمامات المستشرقين، والمغاربة، و لم أنسى اهتمامات المدرسة الجزائرية التي بدت واضحة، وقد خصصت مطلباً ذكرت فيه بعض نماذج لمدونات نوازلية.

وبنيت الفصل الثاني الذي تناولت فيه شخصية الونشريسي وكتابه المعيار، وتضمن هو الآخر مبحثين، الأول به نبذة عن حياة الونشريسي والذي تطرقت فيه إلى نسبه ونشأته، ثم شيوخه وتلاميذه؛ والمبحث الثاني عالجت فيه الإنتاج الفكري بحيث أشرت في مطلب إلى المؤلفاته الفقهية وأيضاً قدمت دراسة حول كتابه المعيار.

وأما ما يخص الفصل الثالث فقد تناولت فيه أهم الملامح الحضارية للمغرب الأوسط من خلال نوازل المعيار وبه ثلاثة مباحث، بحيث عرجت إلى أهم الملامح حول الحياة الاقتصادية، ولفظت (حول) هنا مقصودة؛ وهذا من أجل الإحاطة بكل ما يمكن أن يمثل في نظري الحياة الاقتصادية والتي أوردها نصوص النوازل، بداية من الزراعة التي تضمنت قضايا المياه والأراضي والمحاصيل الزراعية انتقالاً إلى الصناعة والتي أوردت فيها أهم الصناعات التي تواجدت بالمغرب الأوسط وإلى بعض المعاملات بين أرباب العمل والصناع وتطرقت في المطلب ثالث إلى التجارة وتضمنت هي الأخرى

الحديث عن الطرق التجارية وأهم أسواق والعلاقات داخل الأسواق، والمبحث الثاني تطرقت فيه إلى ملامح من الحياة الاجتماعية وحرف الجرَّ (من) مقصود لأنه في هذا المبحث تطرقت إلى بعض الجزئيات من الحياة الاجتماعية وبه مطلبين الأول تعلق الأول بالأسرة والذي عالجت فيه عنصر المرأة وأيضاً بعض ملامح العلاقات الزوجية التي أوردها الونشريسي؛ والمطلب الثاني تطرقت فيه إلى المجتمع والذي اِحتوى على التركيبة السكانية، وأيضاً الفئات الاجتماعية – أو الطبقات كما أطلق عليها بعض الباحثين- وختمت هذا المطلب بأهم العادات والتقاليد التي ظهرت في مجتمع مغرب الأوسط وهذا طبعاً في حدود ما ذكرته نوازل المعيار؛ وأما المبحث الثالث فهو الآخر تناولت فيه ملامح من الحياة الفكرية عالجت فيه مطلبين أولهما المؤسسات التعليمية وأشرت فيه إلى نظرة عامة حول التعليم بالمغرب الأوسط، واخترت نموذج المدرسة، وأما الثاني تطرقت فيه إلى حركة التأليف التي وجدت في عصر الونشريسي، و لم أرتكز على النوازل وحدها إذ استعنت ببعض المصادر والمراجع التي أوردت الخبر.

وأنهيت موضوعي بخاتمة جاءت حوصلة لما تضمنته متون هذه الفصول.

وزودت دراستي بملاحق تضمنت نصوص نوازلية من أجل التوضيح؛ وقائمة مصادر ومراجع.

حدود الدراسة:

الإطار المكاني: حدود الدولة الزيانية في المغرب الأوسط وهذا في أقصى اتساع لها.

الإطار الزماني: من القرن 7-9هـ/ 13-15م؛ وهو الذي زامن تواجد الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط.

المنهج المتبع في الدراسة:

اعتمدت في دراستي التاريخية على منهجين وتحصيل حاصل اعتماد المنهج التاريخي وهو القائم على استقاء المعلومة من النوازل.

المنهج التاريخي التحليلي: إذ أسست فيه على تحليل نصوص النوازل من أجل إبراز أهم الملامح الحضارية التي سادت المغرب الأوسط.

المنهج التاريخي الوصفي: واعتمدت عليه هو أيضاً من أجل وصف خصائص الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الوقت الذي غابت فيه نصوص النوازل.

ولا أستبعد وجود ظل منهج المقارنة بين الفينة وأخرى.

دوافع اختيار الموضوع: وتتمثل في ذاتية وموضوعية:

الذاتية: تجسدت في رغبتي التي طغت على اختيار هذا الموضوع فاخترته لا لشيء إنما لأتذوق طعم الدراسات الصعبة، ؛ ولا يكمن إن أخفي تحفيز الأستاذ المشرف الذي طالما أشار بأهمية الموضوع، وكذالك كان لكلمة الدكتور موسى لقبال (رحمه الله) نقلا عن الأستاذ المشرف أثر في اختيار الموضوع : "لا تأخذوا مواضيع على قارعة الطريق".

الموضوعية: ترجع بالدرجة الأولى إلى أهمية الموضوع التي شدتني لدراسته، زد على هذا معرفة جوانب من حياة إحدى ركائز المدرسة الفقهية ألا وهو الونشريسي؛ وأيضاً معرفة أهم الملامح الحضارية والتي تناولتها النوازل، وإثراء مكتبتنا بهذا الموضوع.

صعوبات البحث:

في عملية بحثي اعترضتني بعض الصعوبات التي لا تخلوا أي دراسة منها، وأذكر بعضها:

إذ أجمع جلُّ الباحثين الذين تطرقوا إلى مثل هذه الدراسة على صعوبة دراسة النوازل، من بينهم الدكتورة بوبة مجاني؛ وأيضاً صعوبة القراءة في كتاب المعيار وتجسد هذا في المصطلحات سواءً المتعلقة بالأماكن أو القضايا.

وأيضاً مشقة السفر إلى مكتبات الجامعات، إذ تنقلت إلى جامعة قسنطينة وواجهتني صعوبة الحصول على المصادر والمراجع خاصة في مكتبات جامعة الأمير عبد القادر نظراً للقانون المعتمد هنالك، وأيضاً عامل الوقت.

وصف المصادر والمراجع: لقد استعنت في دراستي هذه على قائمة ببيوليوغرافيا، وبالدرجة الأولى على مصادر نوازل فقهية جاء في مقدمتها نموذج الدراسة:

- ❖ المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب لأحمد بن يحي الونشريسي ت914هـ/ 1508م، إذ كان المصدر الرئيسي في كتابة بحثي لأني اعتمدت عليه بصفة كبيرة في استخراج النوازل التي تتعلق بموضوع دراستي.
- ❖ الوفيات للونشريسي: وقد ساعدني في ترجمة شيوخ الونشريسي وتلاميذه.
- ❖ البستان لأبي عبد الله محمد ابن محمد ابن أحمد ابن مريم حققه محمد بن أبي شنب وهو الآخر في ترجمة الونشريسي وشيوخه وتلاميذه.

- نيل الابتهاج في تطريز الديباج للتنبكتي: والآخر قد أفادني في ترجمة العلماء؛ ونفس الشيء بالنسبة لجذوة الاقتباس.
- وكتاب إفريقيا لحسن الوزان، وهو مصدر جغرافي هام في دراسة جزئيات مدن المغرب الأوسط، علماً أنه زار المغرب الأوسط.

هذا بالنسبة للمصادر أما ما يخص المراجع:

فاعتمدت على كتاب جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال الونشريسي كمال أبو مصطفى والذي أشار إلى الجوانب الحضارية التي أوردها الونشريسي من خلال نوازله.

وأيضاً النوازل الفقهية والمجتمع لمحمد فتحة وأيضاً نظرات فقهية لمحمد حجي و الذي ساعداني في فهم النوازل .

وقد حظيت دراستي بمجموعة من المقالات كلها تصب في موضوع النوازل منها :

- محمد استيتو: النوازل وطبيعة مصادرها وحدودها وتوظيفها في الكتابة التاريخية، مجلة كلية الآداب، إذ استعنت بها تعريف النوازل، وأيضاً معرفة إمكانية استعمالها خاصة في الحياة الاقتصادية.
- عثمان منصوري: حدود إسهام الفتاوى في التاريخ الاقتصادي المغربي، مجلة الأمل، الجديدة الدار إذ هي الأخرى أفادتني في معرفة الأطر التي تحتويها النوازل.
- المهدي البوعبدلي: الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام أحمد بن يحي الونشريسي، مجلة الأصالة ، والذي أفادني في معرفة جوانب سكت عنها من ترجم للونشريسي.

وأيضاً من الدراسات السابقة :

- وعلى رأسهم مذكرة الأستاذ المشرف طاهر بن علي دور النوازل في الكتابة التاريخية نوازل الأندلس في القرنين(8و9هـ/14و15م) نمودجاً والتي رسمت لي الاتجاه التاريخي لدراسة النوازل.
- وأيضاً مذكرة نظام المساقاة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي والتي أشرفت عليها الدكتورة بوبة مجاني بحيث أفادتني في العديد من النقاط تخص الزراعة.
- ومذكرة التنظيمات التجارية بالمغرب الأوسط من خلال كتب النوازل والتي أشرفت عليها الدكتورة سهام دحماني وقد تجلت استفادتي منها خاصة فيما يخص التجارة.
- وأيضاً مذكرة الدرر المكنونة في نوازل مازونة بركات إسماعيل تحث إشراف الدكتور عبد العزيز فيلالي والتي كانت مرجع مهم خاصة في الفصل الثالث.

واعتمدت أيضاً على بعض الترجمة في متون الفصول خاصة الفصل الأول

1. Philippe sénace **:le maghreb ,al- Andalus et Méditerraneé occidentale**(VIII^{e}-XIII^{e}sicles) CNRS- université de toulouse- Le irail colle.

دون أن أنسى دور القواميس العربية في مساعدتي في فهم الموضوع ومن أهمها على الإطلاق: لسان العرب لابن منظور، وأيضاً الاستعانة بمعجم الوسيط في شرح بعض المصطلحات المبهمة في نصوص النوازل.

وفي الأخير فإن أصبت فمن الله وإن أخطئت فمن نفسي ومن الشيطان.

الفصل الأول:

النوازل و الدراسات التاريخية

المبحث الأول : النوازل

المطلب الأول : تعريف النوازل

المطلب الثاني : أهمية النوازل في التوثيق التاريخي

المطلب الثالث:خصائص النوازل التوثيقية

المبحث الثاني: للنوازل واهتمامات المؤرخين

المطلب الأول: اهتمامات المستشرقين

المطلب الثاني: اهتمامات المدرسة المغربية

المطلب الثالث: اهتمامات المدرسة الجزائرية

المطلب الرابع: نماذج لمدونات النوازل

لقد شقت الدراسات التاريخية طريقاً جديداً في استقاء المعلومة، فكان تيار النوازل المنحنى الذي اختاره جل الباحثين، وأكدوا على ضرورة التعامل معها بشكل جدي؛ وعليه أطرح التساؤلات التالية:

- ماذا نقصد بالنوازل التاريخية؟
- وفي ما تمثلت أهمية النوازل؟، وما أهم خصائصها؟
- وكيف اهتم أصحاب الدراسات التاريخية بها؟

المبحث الأول: الـــنـــوازل

المطلب الأول: تعريف النوازل(لغة واصطلاحاً)

جرت عادة أهل بلاد المغرب أن يطلق مصطلح النازلة على الفتوى والاستفتاء، وهو طلب الفتوى، وأفتاه في الأمر أي أبان له، بذلك فالفتوى في المشرق الإسلامي تقابلها النازلة بالمغرب الإسلامي، لذا لابدَّ من ضبط المفهوم من ناحية اللغوية والاصطلاحية[1].

فالنازلة في اللغة هي:

الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالقوم [2]، أي المصيبة وجمعها نوازل، ويقال نزل به الأمر أي حل به[3]؛ وقد كتب في هذا المعنى رضوان الجنوي ت(991ه) مستشفعا السلطان عبد العزيز الملك السعدي في إطلاق سراح الفقيه عبد الواحد الحميدي (ت1003) هذين البيتين :

ما للنوازل والخطوب تنبهوا إلا الزعيم ومن يقول أنا لها

فالو العنان ببابه مستشفعاً وآت البيوت أخى من أبوابها[4].

---

[1] حسناء مطامعي: **التنظيمات التجارية بالمغرب الوسيط من خلال كتب النوازل** ، مذكرة لنيل شهادة الماستر 2 في تاريخ بلاد المغرب الحضاري في العصر الوسيط، إشراف د/سهام دحماني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، السنة الجامعية2013/2012م، ص21.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي: **كتاب العين** (مرتب على حروف المعجم)، تح، عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،2002، ج4/ 213. اَنظر أيضا أحمد رضا: **معجم مثن اللغة**، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، 1960، ج422/5.

[3] جمال الدين بن منظور : **لسان العرب** ، تح، عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت،مج6/ 724.

[4] محمد استيتو: **النوازل وطبيعة مصادرها وحدودها وتوظيفها في الكتابة التاريخية** ، مجلة كلية الآداب، وجدة، ع5،1995، ص129.

اصطلاحاً:

وفي الاصطلاح يختلف مفهوم النازلة عند أهل العلم في القديم والحديث ، إذ عرفها أهل الحديث النازلة بعدة تعريفات منها الوقائع والمسائل المستجدة والحادثة ؛ أو هي الحادثة التي تحتاج إلى حكم شرعي[1].

بمعنى أنها تلك القضايا أو المسائل التي تحدث للناس في حياتهم اليومية يريدون أن يعرفون حكم الله فيها، فيلجأون إلى أهل العلم من المفتين والعلماء والقضاة، ليستوضحوا أحكام هذه المسائل، علماً أن المفتي كان يؤطر المجتمع في تلك الفترة [2]، ولكل نازلة خصائص تميزها عن أخرى حسب درجة وقوعها وثقل مراسها[3].

فهي كما قال الدكتور طاهر بن علي:"على أنها الترجمة الذاتية للمجتمع الإسلامي في مستوياتها الجزئية الداخلية المرتبطة بالشخصية الفردية المكونة للتروع الأولى، أي البنية السيكولوجية، وفي مستوياتها الكلية المتعلقة بالشخصية الجماعية المكونة للتروع الثقافي النهائي أي البنية السوسيوثقافية"[4]؛ فهي تجمع بين السيكولوجية والسيسيوثقافية.

---

[1] أحمد بن يحي الونشريسي: **النوازل الجامعة أو نوازل الجامع**، تح، شريف المرسي، دار الأفاق العربية، القاهرة،ط1،2010، ص5.

[2] محمد فتحة : **النوازل الفقهية والمجتمع** :(أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6إلى 9هـ/12-15م)، منشورات كلية. الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1999، ص 274.

[3] طاهر بن علي: **دور النوازل في الكتابة التاريخية نوازل الأندلس في القرنين(8و9ه/14و15م) نمودجاً**، أطروحة دكتوره ، إشراف د/ الحاج عيفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 1435ه/ 2014م، ص136.

[4] طاهر بن علي: نفسه، ص155.

المطلب الثاني : أهمية النوازل التوثيقية.

إن النوازل تقدم لنا العديد من الإفادات تجسدت في إعطاء صورة لنشاط الاقتصادي داخل المجتمع الإسلامي، فهي تعطي عددا من الإشارات لمواد التبادل الداخلي والخارجي، والنقود والصرف وأشكال التعامل التجاري والمكاييل، وأنواع الإنتاج والملكية والعلاقة بين التجار والزبائن بين البوادي والمدن وحالة الأسواق وتنظيماتها [1]، كما تعطي أيضا وصفا دقيقا للحياة الاجتماعية، وهذا من خلال رصد قضايا فردية وجماعية في آداب السلوك وطعام واللباس، وأيضا عن المجال الثقافي ، فكما قال جاك بيرك:"هي خطاب المجتمع حول نفسه " [2]، بحيث أنها تعبر عن معطيات سيسيولوجية راجع هذا لكون أن في كل فقيه يوجد عالم اجتماع راقد[3]، وتشكل مدخلا في استجلاء تاريخ العالم الإسلامي من خلال مفهومياتها، عن ملامح الحياة ومقارباتها، لكل واقعي وحقيقي عرضه أو فرضه الوجود التاريخي، فكانت مصدراً مهماً جداً للمعلومة التاريخية المختلفة استعان المؤرخ بها لتحديد معنى، واستفاد منها عالم الاجتماع والأنتروبولوجي والأثري وعالم النقود ، وأصبحت منهلاً ينهل منه الكل حسب التخصصات، وأهداف البحث[4]، وعليه فقد كونت النوازل لذ ا الباحثين منظوراً ذو خصوصية دقيقة في حياة المجتمع، بحيث كشفت لنا عن معطيات، ونتائج في ميادين الثقافة والاقتصاد والاجتماع[5].

---

(1) عثمان منصوري: **حدود إسهام الفتاوى في التاريخ الاقتصادي المغربي**، مجلة الأمل، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ع7، 1996، ص94 .

(2) إدريس كرم: **العلاقات الاجتماعية من خلال النوازل الفقهية بالمغرب**، دار البيضاء، ط1، 2005، ص 28.

(3) إدريس كرم: نفسه، ص39

(4) طاهر بن علي: المرجع السابق ، ص155انظر، R. Brvnschvig,**stvdia islamica** , maisonneueve- larose , paris, P38

(5) طاهر بن علي: نفسه، 151

المطلب الثالث: خصائص النوازل التوثيقية.

المحلية: اتسمت بطابع محلي إذ لا تبقى سابحة في المطلق، كما هو الشأن مع كتب الفقه العامة ، وإنما تتحدد مسائلها في الزمان والمكان والموضوع، بحسب ما تأتي به الأسئلة التي تنبني عليها وما تطرحه من مشاكل، فهي عادة ما تذكر القضية أو النازلة كما حدثت بأشخاصها ووقائعها و اسم القاضي أو المفتي الذي رفعت إليه، وأحيانا تاريخ وقوعها، ثم الجواب أو الفتوى حول تلك النازلة أو المسألة.

وعليه فهي مرآة صادقة ومنجما غنيا تعكس هموم ومشاكل كل أفراد المجتمع المغربي بالخصوص وما يشغلهم[1].

الواقعية: وهذا راجع للارتباط نوازل المالكية غالبا بأحداث وقعت بالفعل إقتداءً ا بمؤسس المذهب الإمام مالك الذي كان يرفض الخوض في الفرضيات ويحرص على ما يجلب الانتفاع به في الإجابة، وقد ذكر أحد تلاميذه أنهم كانوا يحتالون في حدوث المسألة فعلا حتى يجيب عنها.

وهكذا فالواقعية تقضي أن ردود المسائل المطروحة تكون حلولا لمعضلات حلت فعلا بأهل البلاد سواء تعلقت هذه النوازل بأمور العبادات أو المعاملات اليومية [2].

تنوع التأليف: ومن خصائصها أيضا نجد أنها تختلف عن بعضها البعض من ناحية الشكل أو المضمون، فمنها من نجد أنّه ا من تأليف الفقيه نفسه، وبعضها تركه الفقيه مشتتا في أوراق وكراريس

---

[1] محمد حجي: **نظرات في النوازل الفقهية**، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999، ص58.

[2] حسناء مطامعي: المرجع السابق، ص22.

تولى جمعها في حياته أو بعد مماته أحد أبنائه أو تلاميذه، مثل كتاب مذاهب الحكام في نوازل الأحكام للقاضي عياض السبتي* التي جمعها ولده، وأيضا كتاب جواهر اللئالي لسيدي عبد الكريم البلبالي* التي جمعها تلميذه؛ وأخرى تم جمعها بعد فترة طويلة من طرف الباحثين أو المهتمين بالتراث مثل فتاوى الشيخ أبي الحسن اللخمي التي جمعها الأستاذ حميد بن محمد لحمر[1].

هذا بالنسبة للجانب الشكل أما جانب المضمون فإن كتب النوازل قد تضاف إليها فتاوى أخرى لشيوخ المؤلف أو أقرانه وقد وصلنا بعض النوازل جاءت عبارة عن مجاميع فقهية تضم فقهاء بلد أو منطقة واسعة كمنطقة المغرب الإسلامي مثل ما هو الحال عليه عند كتاب المعيار للونشريسي.

التجدد المستمر :رغم أن كتب النوازل ترتب عادة حسب أبواب الفقه في العبادات والمعاملات، وبخلاف المؤلفات الفقهية العادية التي تظل نصوصها ثابتة كما وضعت لأول مرة فإن النوازل ليست متناً فقهياً يحفظ ويدرَّس ويشرح لناس، وهذا راجع لكونها ترتبط بحياة الناس المتغيرة باستمرار مما يجعل الجواب عن المسألة الواحدة يواكب أحوال المكلفين وبيئاتهم، لهذا فإن فهم المجتمع الإسلامي

* القاضي عياض: هو الإمام العلامة الحافظ، شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عمرو بن موسي بن عياض اليحصيبي الأندلسي،ثم السبتي المالكي، ولد سنة 476ه وانتقل جدهم من الأندلس إلى فاس، ثم سكن سبتة، ت544ه.انظر القاضي عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب مالك**، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج4/1.

*عبد الكريم البلبالي: ولد ببني تامرت1288ه، ونشأ بها وقرأ القرءان بها ثم ارتحل لكسام لمدرسة شيخه سيدي عبد الله بن أحمد الحبيب فمكث لديه سنوات يوالي دراسته عليه وعلى من كان من العلماء هنالك، صاحب كتاب"**الجواهر اللئالي**"، وهي عبارة عن فتاوي تخص إقليم توات، انظر عبد العزيز سيدي عمر: **قطف الزهرات من أخبار علماء توات**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1985،ص16.

[1] حسناء مطاعي: المرجع السابق، ص23.

والمغربي على الخصوص سي ظل رهيناً بمدى فهم ودراسة هذه النوازل والاستفادة من مادتها الخام دراسة وفهماً وهو ما سأعالجه في المبحث الآتي.[1]

[1] حسناء مطاعي: المرجع السابق، ص23.

المبحث الثاني: النوازل والدراسات التاريخية

المطلب الأول : اهتمامات المستشرقين.

إنّ أول من اهتم بدراسة النوازل واعتمادها كمصدر تاريخي جدير بالدراسة هم المستشرقون، إذ يقول ليفي بروفنصال في كتابه" تاريخ اسبانيا الإسلامية": بأن الجرد المنهجي لهذه الكتب سيساعد كثيراً على فهم تاريخ المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ[1]، وعليه يظهر أن مستشرقين كانوا سباقين إلى التنبيه بأهمية كتب النوازل الفقهية في الدراسات التاريخية، منذ مطلع القرن العشرين وقد أكدوا على ضرورة الاعتماد عليها في أبحاثهم [2]، ويعتبر الأستاذ كلود كاهن من الأوائل الذين نادوا بضرورة إعطاء أهمية ، خاصةً للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي الذي قال عنه:" أنه ظل لفترة طويلة من الزمن تخصصاً مهجوراً في إطار الدراسات المتعلقة بالإسلاميات، و لم يبدأ الاهتمام به إلا متأخراً"[3].

كما يمثل جاك بيرك إ حدى ركائز هذا النوع من الأبحاث عند المستشرقين المهتمين بالعالم الإسلامي عامة وبالغرب الإسلامي على الخصوص، إذ أن هذا الأخير ومن ذ حوالي 40سنة قام بنشر مقتطفات من نوازل الوزاني" المعيار الجديد عام 1938"، في مواضع تخص المزارعة، وقد تجل ت اهتماماته المتزايدة بهذا النوع من المصادر والدفاع عنها في الندوات والمؤتمرات العلمية، وأيضاً نشره

---

[1] محمد مزين:**التاريخ المغربي ومشكلة المصادر، نموذج النوازل الفقهية**، مجلة كلية الآداب، فاس، ع خاص1985،2، ص103.

[2] محمد استيتيو: المقال السابق، ص127.

[3] محمد المختار ولد السعيد: **الفتاوى و التاريخ** دراسة لمظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في موريتنيا من خلال فقه النوازل،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000، ص 13.

لكتاب داخل المغرب L'interieur du maghreb إذ أعطى للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي منفذاً جديداً[1].

وقام أيضا الأستاذ روبير برينشيفيك في أطروحته حول العهد الحفصي في إفريقية بتحليل لنوازل البرزلي، أبرز فيه قيمتها الوثائقية واستقى منها معطيات تاريخية هامة عن واقع الفترة العميق الذي صمتت عنه المصادر التقليدية[2]، واعتمد على نصوص النوازل بشكل كبير في دراسته لأحوال الفقه والتمدن خلال العصر الوسيط جمعها في كتاب Etudesd Islamologie [3]، وأعتبر المستشرق الهادي روجي إدريس من بين الذين عبدوا الطريق أمام البحث والتنسيق في كتب النوازل وأقرّ باعتبارها مصدر أساسي للغرب الإسلامي، ومن بين الدراسات التي قام بها روجي أنه قد كتب مقالة حول التجارة البحرية بإفريقية التونسية الزيرية، حلل فيها نوازل جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام[4]. واستغلها في أطروحته التي كشف فيها عن الواقع الاجتماعي في إفريقية، وأيضا اشتغل على 245 فتوى منتقاة من نوازل المعيار اعتمدها في مقال له حول المكرس لزواج في الغرب الإسلامي[5].

وأضطلع كل من الهادي روجي إدريس، وجاك بيرك بجهود مهمة في مجال توظيف الفتاوى والنوازل الفقهية في سبيل معرفة ماضي المغرب الإسلامي الاقتصادي والاجتماعي[6].

---

[1] محمد مزين: المقال السابق، ص104-105.

[2] محمد المختار ولد السعيد: المرجع السابق، ص14.

[3] مصطفى الصمدي: **فقه النوازل عند المالكية (تاريخا ومنهجا)**، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2003، ص31.

[4] عبد العزيز التمسماني خلوق: **عطاء التراث الفقهي: الهادي روجي إدريس ونوازل البرزلي** مجلة دار النيابة، الدار البيضاء، ع11، 1986، ص 65.

[5] محمد مختار ولد السعيد: المرجع السابق، ص 15.

[6] محمد مختار ولد السعيد: نفسه، ص 14.

وأيضاً قد تناول الباحث دافيد بوار(David Powers) نوازل مازونة بحيث أكد هو الآخر عن أهمية استعمال النوازل وكيفية تعامل المؤرخون معها[1].

وبالتالي إنّ المستشرقين الذين ركزوا اهتماماتهم على كتب النوازل من أمثال جاك بيرك وهادي روجي ومن على شاكلتهم قد صبوا اهتماماتهم عليها وعلى المادة التي يمكن أن تستقى منها وهذا راجع إلى سببين:

1/ النجاح الهام الذي توصل إليه المهتمين بتاريخ المجتمعات المسيحية في الإفادة من الإنتاج الديني المسيحي ومن السيل الضخم جدا لوثائق المؤسسات الدينية.

2/ لكثرة ما وصلنا من إنتاج هائل ظهر أنه فعلاً غني بمادة تاريخية متنوعة على جانب كبير من الأهمية بحيث أن المؤلفات النوازلية تميط اللثام عن العديد من القضايا والمسائل التي تناولتها بعفوية وتلقائية و التي أغفلتها المصادر التقليدية أو تحاشت التطرق إليها أو تعمدت التغاضي عنها لسبب من الأسباب[2]، واستمر اعتماد المؤرخين لها بحيث صار منهجا قويما في تحصيل الوثائق وتوفير النصوص[3].

المطلب الثاني: اهتمامات المدرسة المغربية: لقد كان اهتمام المغاربة بهذا النوع من المصادر قليلاً رغم بعض الإشارات العامة، و لم يظهر الاهتمام بالنوازل كوثائق تاريخية عند المغاربة إلا في الستينات أو بعدها بقليل[4].

---

(1) Philippe sénace **:le maghreb ,al-Andalus et Méditerraneé occidentale** (VIII^{e}-XIII^{e}sicles) , CNRS- université de toulouse- Le mirail colle. P P 317-318 .

(2) محمد استيتو: المقال السابق، ص127

(3) طاهر بن علي: المرجع السابق، ص 148.

(4) محمد مزين: المقال السابق، ص105.

وذهب الدكتور محمد مزني إلى القول بأن اهتمام المغاربة بهذا العلم مرّ على ثلاث مراحل، جاءت المرحلة الأولى إلى ما قبل 1956 على اعتبار أن المؤرخين القدامى من أمثال اليفريني والزياني، والناصري وابن زيدان، كانوا كلهم قد استعملوا معطيات أخذوها من كتب الفقه ، وسماها المرحلة الإرهاصات الأولى للانتباه إلى قيمة كتب النوازل.

وفي أثناء هذه المرحلة نشر حسين مؤنس تحليلاً مبسطاً لفتوى الونشريسي المسماة أسنى المتاجر في بيان أحكام[...] في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدرسة سنة 1957، وله دراسة قيمة لكتاب الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة لأبي الحسن علي بن يوسف الحكيم، نشره ضمن صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد سنة1958[1].

والمرحلة الثانية وهي مرحلة شهد الاهتمام بكتب النوازل قفزة نوعية من ناحية منهج الدراسة، وهذا راجع عن انتشار المناهج الأوربية وتأثر الأوساط الجامعية المغربية بها، وقد اتسمت هذه المرحلة بأعمال الدكتور محمد حجي الذي تتبع تطور الحركة الفكرية المغربية عبر كتب النوازل، وأيضا قدم الدكتور الجيدي دراسة حول ابن عرضون تطرق من خلالها إلى نتائج صاحب الترجمة الفقهية وقد أطلق على هذه المرحلة تسمية مصادر جديدة ومنهج جديد. وأما المرحلة الثالثة ، فيمكن القول عنها بأنها بدأت مع بداية الثمانينيات بإدراك المشاكل التي واجهت الباحثين واقتراح الحلول[2]؛

---

[1] مصطفى الصمدي: المرجع السابق، ص31.

[2] محمد مزني: **حصيلة اِستعمال كتب النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية المغربية** البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، كلية العلوم الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1989، ص 75- 88.

تجسد هذا في سعي بعض الباحثين المهتمين بالتاريخ المغربي إلى فهم مصطلحات ومفاهيم خطاب الفقهاء بحيث تعتبر المفاهيم الفقهية وإدراكها من العقبات الأساسية التي واجهة المؤرخ أو المحقق[1].

وقد أكدّ الباحث محمد ياسر الهلالي هذا الاهتمام الذي يعكس جوهر تطور الكتابة التاريخية المغربية ومناهجها بحيث قسمه على أربعة مراحل، تزامنت المرحلة الأولى مع ما يمكن نعته بالتاريخ الوطني وخاصة المرحلة الأخيرة منه بداية من سبعينات القرن الماضي، لكن ظل استعمالها محدوداً فقليل من المؤرخين المغاربة أولوها عنايتهم في أبحاثهم من أمثال: محمد مزني، ومحمد حجي، أما المرحلة الثانية والتي حددها مابين 1970-1983 ظهر فيها تيار جديد متأثر بالمناهج التاريخية الغربية والذي حمل لوائه بعض الأساتذة أمثال: أحمد توفيق ومحمد حجي، العربي مزين، محمد مزني، وعبد الله جمودي ساهموا في التوظيف الإخباري لكتب النوازل[2].

فرامت هذه الكوكبة من النبش في المادة النوازلية وتوفير معطيات تساعد على فهم فئات المجتمع الاقتصادي والاجتماعي والفكري، غير أن الاتجاه لم يتبلور بشكل كبير بعد أن اصطدم بصعوبة التعامل مع المادة الفقهية لنقص التكوين عند البعض في هذا الاتجاه، وبالنسبة للمرحلة الثالثة فقد غطت على ما تبقى من فترة الثمانينيات، سعى الباحثون المهتمون بكتب النوازل إلى إخراج وتحقيق المزيد من الكتب حيث توجت هذه المرحلة بمناقشة الباحث محمد بنميرة رسالته تحث موضوع النوازل والمجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الأوسط القرنان 8-9ه/14-15م، ومنه

---

(1) Philippe sénace: Opcit, P P 324-325.

(2) محمد ياسر الهلالي: **نوازل المغرب و الأندلس خلال العصر الوسيط تقديم وترتيب بيلوكرونولوجي**، دعوة الحق، كلية لآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع396 ،2010، ص142.

اعتبار هذا قفزة نوعية مهمة في التعامل مع النوازل، وصدر بالموازاة مع هذا العمل أبحاث أخرى للباحثين[1].

وبالنسبة للمرحلة الرابعة والتي بدأت مع تسعينيات القرن الماضي ومازالت مستمرة إلى اليوم شهدت طفرة مهمة في نشر كتب النوازل إخراجاً وتحقيقاً، وسدت الثغرة التي عرفتها المراحل السابقة توجت بإصدار دليل المخطوطات المغربية في علم النوازل[2].

وأكدّ الدكتور عبد الله العروي في كتابة تاريخ المغرب على ضرورة الاهتمام بهذا العلم حيث أشار إلى هذا أكثر من ثلاث مرات وهو يعترف أنّ استغلالها لم يتم بعد وأنه لم يتعرض له وهو يوصي لمن أراد فهم تاريخ المغرب عليه الرجوع إلى النوازل الفقهيه[3].

وأكدّ أيضا الأستاذ محمد داوود على الفائدة التي يمكن أن تجلب من الفتاوى الاجتماعية، واتسمت أبحاث حسين حسني عبد الوهاب بالدقة في التحقيق وتقصي الشواهد التاريخية والتنقيب عنها في أمهات كتب الفقه واستخراجها من النوازل، وأعتبر فقه النوازل منجما ثريا، زاخراً بحقائق وكنوز نفيسة، ومصدراً تاريخياً لا يقل أهمية عن كتب الحسبة والأدب الجغرافي وكتب الطبقات والمناقب والتراجم والتصانيف الأدبية[4].

---

[1] محمد الهلالي: المقال السابق، ص144.

[2] محمد الهلالي: نفسه، ص- ص 144-145.

[3] محمد مزني: المقال السابق، ص105.

[4] عبد العزيز خلوف : **قيمة فقه النوازل التاريخية** ، **البحث العلمي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي ، الرباط، ع29-30، 1979،ص75.

المطلب الثالث: اهتمامات المدرسة الجزائرية.

على غرار المدرسة المغربية والمؤرخين المستشرقين، كذلك برعت المدرسة الجزائرية برودها وأدلوا بدلوهم في هذا المجال من الدراسات التاريخية، إذ أصدرت العديد من المقالات، والأطروحات، وأقيمت الملتقيات، في هذا المجال وانكبت هي الأخرى على الدراسة العمودية للتاريخ.

فنلتمس جهود مخبر العلوم الإنسانية بجامعة منتوري بقسنطينة والذي تترأسه الدكتورة بوبة مجاني، في إصدار مؤلف ساهم بشكل كبير في دراسة تاريخ المغرب الأوسط واحتوى على عشرة مقالات[1]، جاءت تصب في سياق واحد حول تاريخ المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل، مبرزاً الدور الذي تلعبه النوازل، إذ اهتم الأستاذ محمد بن عميرة بقضية التجارة المائية في كتب الفقه والنوازل ببلاد المغرب، وقدمت الأستاذة لطيفة بشاري دراسة حول المكاتبة والتدبير بين كتب الفقه والفتاوي في بلاد المغرب، أما ما جادت به الدكتور الباحث بوبة مجاني صاحبة الفضل الكبير في هذا المجال، هو دراسة وثائق الحبس في المغرب الأوسط وأهميتها المصدرية.

واتسمت دراسة الأستاذة دلال لواتي بنوازل المغرب الأوسط، (ملاحظات منهجية حول تطور الكمي للإفتاء)، واهتم الأستاذ رضا بن النية في قضية الشرف من قبل الأم والذي تضمنته نوازل المعيار.

---

[1] مجموعة أساتذة: **المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل**،منشورات مخبر العلوم الإنسانية، بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011.

وتطرقت الأستاذة دحماني سهام إلى نوازل مازونة واهتمت بدراسة الجانب الاقتصادي منها، كما عالجت الأستاذة غزودي نصيرة ظاهرة الغش في العملة في بلاد المغرب الأوسط من خلال النوازل.

ونجد أيضاً العديد من الاهتمامات دكاترة الجزائريين، كالدكتور عبد العزيز فيلالي الذي كانت له دراسة حول قضايا المياه من خلال نوازل المعيار[1]، وأيضا في هذا المجال قدم الدكتور طاهر بن علي أطروحة حول دور النوازل في الكتابة التاريخية نوازل الأندلس في القرنين 7و8 هجريين، أما وفي مجال تحقيق المخطوطات النوازل، عمل كل من الدكتور مختار حساني وإسماعيل بركات على تحقيق كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة [2]، كما قامت بعض الجامعات بالقيام بعقد ملتقيات حول النوازل وأهميتها بالنسب لتاريخ الاجتماعي، ومنها من جاءت النوازل ضمنياً وهذا ما لمسته في مقال الدكتور بحاز إبراهيم حول ملامح المجتمع المزابي في بعض تراث(نوازله) الشيخ اطفيش (ت1914م) [3]، في الملتقى الذي عقدته جامعة الواد، وهنالك العديد من الرسائل الجامعية والتي اعتمدت على بعضها في متون الفصول، وقد جاء ذكرها في قائمة البيليوغرافيا.

---

[1] عبد العزيز فيلالي، **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط** ،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،د.ط،2010، ج1.

[2] أبو زكرياء يحي المغلي: **درر المكنونة في نوازل مازونة** ، تح، مختار حساني، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، د.ط، 2004، ج1.

[3] إبراهيم بحاز: **ملامح من المجتمع الميزابي في بعض تراث الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش (ت1914)**، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ / 18-19م من خلال المصادر المحلية، الملتقى الوطني الثاني (يومي 24-25 جانفي 2012)، بالمركز الجامعي بالوادي، ص- ص13-20.

المطلب الرابع: نماذج من مدونات النوازل.

تعددت المجامع الفقهية وكتب النوازل التي أوردت أخباراً عن بلاد المغرب الأوسط، والأندلس بحيث لا يمكن حصرها فمنها ما هو محقق ومنها من لم ينل حظه من التحقيق ، وارتكزت في دراستي على من يعتبر شاملا جامعاً لما سبقه ألا وهو المعيار المعرب والجامع المغرب، إلاّ أني ارتأيت أن أقدم عرضاً لبعض المصادر النوازلية التي تعتبر الركيزة والمنهل الذي أخد منه الونشريسي.

فمن بين النوازل التي تكررت في كتاب المعيار نجد نوازل أحد أعمدة الفقه في الأندلس هو ابن رشد.

ترجمته: هو "محمد بن أحمد (بن محمد 1)، بن رشد أبو الوليد قاضي الجماعة بقرطبة، توفي سنة 520ه بقرطبة[1]"؛ وكان فقيهاً عالماً حافظاً للفقه، متقدماً فيه على جميع أهل عصره إذ كان أوحد زمانه في طريقته وزعيم فقهاء وقته من أهل الرياسة في العلم والبراعة والفهم يفزع إليه في المشكلات، من مؤلفاته كتاب البيان والتحصيل والمقدمات لأوائل كتب المدونة واختصار مشكل الآثار؛ ونظراً لموقعية ابن رشد العلمية والاجتماعية فقد ظهرت فتاويه بالاهتمام البالغ روايةً، وتداولاً ونقلاً استناداً واستشهادياً ، وحملت المدونات النوازلية منها جزاءً موفوراً نظراً للمشاركة بين قضايا المسلمين، ثم لظهور صاحبها الفقهي[2] .

نوازل اللخمي: ترجمته: وهو أبو الحسن علي بن محمد الربعي المعروف باللخمي القيرواني، الإمام الحافظ العالم، رئيس الفقهاء في عصره، وإليه ارتحل الطلاب للأخذ من معارفه توفي سنة (478ه) [3]، ومن أهم شيوخه أبو إسحاق التونسي(ت443ه) ، وعبد الرحمن بن محرز(ت 450ه)، وعبد الخالق السيوري (ت460ه) ، هذا بالنسبة لشيوخه أما تلاميذه الذين أخذوا عنه فنجد كل من الإمام المازري وأبو الفضل النحوي، وأبو علي الكلاعي، وعبد الحميد الصفاقسي[4].

---

[1] أحمد الضبي: **بغية الملتمس**، في تاريخ رجال أهل الأندلس علمائها وأمرائها وشعرائها وذوي النباهة فيها ممن دخل إليها أو خرج عنها، مطبع روخس، مدينة مجريط، 1884، ص40.

[2] طاهر بن علي: المرجع السابق، ص173.

[3] محمد بن محمد مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية، القاهرة، (دط)، 1928، ج1/ ص117.

[4] محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994، ج1/ 215-217.

وللشيخ أبي الحسن اللخمي تأليف واحد في الفقه سماه التبصرة، لكن ما يفيد ني في آثاره هي تلك النوازل التي اعتمد عليها صاحب كتاب المعيار، و التي جاءت ضمن كتاب فتاوى البرزلي، وفتاوى اللخمي جاءت جامعة لكل أبواب الفقه تقريباً وهي مجموعة متنوعة تشتمل على فقه العبادات والمعاملات[1].

وأيضاً نجد نوازل **أبو القاسم البرزلي:**

ترجمته: هو أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن المعتل البلوي القيرواني الشهير بالبرزلي أبو الفضل، نزيل تونس ومفتيها وحافظها، وهو أحد الأئمة في المذهب صاحب الديوان في الفقه والفتاوى [2]، واختلفت المصادر والمراجع التي ترجمت له حول تسميته بالبرزلي بحيث ذكر المؤرخ المشرقي محمد السخاوي في كتابه الضوء اللاّمع بأنها إلى بُرْزُلة بضم أوله وثالثه دون أن يوضّح أن هذه التسمية اسم علم على قبيلة أو مكان أو غير ذلك[3]، تلقى العلم عن ثلة من كبار العلماء وأعلام المذهب المالكي ونهل من عند الفقيه المحدث الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق (ت 781ه)، وأبو عبد الله بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي (ت803) أشهر فقهاء عصره، انتسب إليه البرزلي عند وصوله إلى تونس وجالسه إلى وفاته لمدة تزيد عن 30سنة، وأيضا أبو العباس أحمد بن إدريس البجائي (ت 760ه)؛ ومن أشهر من أخذ عن البرزلي أبو الفضل القاسم بن الناجي صاحب ذيل الإيمان (ت 837)، وترك البرزلي خلفه كتاب بعنوان جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، ويقع هذا الكتاب في ستة أجزاء والجزء السابع خاص بالفهارس حققه الأستاذ محمد الحبيب الهيلة، وقد وأورد البرزلي المسائل أو النوازل التي طرحت

---

[1] حسناء مطاعي: المرجع السابق، ص 27

[2] ابن مريم التلمساني : **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، صح ابن شب، المطبعة الثعالبية، الجزائر ، 1908، ص 150. أنظر أيضا أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تح، عبد الله الهرامة وآخرون، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989، ج1- 2/ 368.

[3] أبي القاسم بن أحمد البرزلي : **فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام** من القضايا بالمفتين و الحكام، تح، محمد الحبيب الهيبة ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002، ج1/ص 5. أنظر أيضاً محمد محفوظ: المرجع السابق،ج87/1.

على الفقهاء والقضاة المتقدمين والمعاصرين سواءً في المغرب الأدنى، أو المغرب الأوسط والأقصى وتعدها إلى بلاد الأندلس[1].

ومن أشهر النوازل التي تحدث عن بلاد المغرب الأوسط والتي كانت منهلا **للأبي العباس نوازل المازوني** المعروفة بالدرر المكنونة في نوازل مازونة:

ترجمته: هو أبو زكرياء يحي بن أبي عمران موسى بن يحي المغلي المازوني، الإمام العلامة قاضي مازونة والمغيلي نسبة لقبيلة مغيلة* البترية، وقد عُرف بالمازوني وذلك نسبة لمدينة مازونة* مسقط رأسه، ومن أبرز شيوخه الذين أخذ عنهم العلم ويعتبرون من ركائز العلم في الحضرة التلمسانية من أمثال ابن مرزوق الحفيد، وقاسم العقباني، وابن زغو ومحمد بن العباس وغيرهم من الشيوخ الفقهاء في عصره، أما عن تلاميذ المازوني فأشهرهم الونشريسي أبو العباس [2]، الذي هو محل دراستي وسيأتي الحديث عنه فيما بعد. اتفقت جل المصادر التي تحدثت عن المازوني أن إنتاجه العلمي اقتصر على مؤلف وحيد وهو الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، وقد وصفه الونشريسي بالفقيه الفاضل وذكر أنَّ تاريخ وفاته 883ه[3].

---

[1] حسناء مطاعي: المرجع السابق، ص34.

* مغيلة: تنتمي إلى بني فاتن برز فيها القائد أبو قرة المغيلي في القرن 2ه وكانت مغيلة تقطن قرب مصب نهر الشلف بالقرب من مازونة في عهد بني عبد الواد وكان موقفها غير مستقر بين تأييد أصحاب تلمسان ومناوئهم. ابن خلدون عبد الرحمن: **تاريخ ابن خلدون العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ظ م، خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط م، 2002، ج15/7.

*مازونة: مدينة قديمة تمتد على مساحة شاسعة وتحيط بها أسوار متينة، بها جامع وبعض مساجد كما بها فئة الفلاحين والنساجين، وأراضيها مزروعة جيدة تعطي غلة حسنة، حسن الوزان: **وصف إفريقيا**، تج، محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ج36/2.

[2] التنبكتي: المصدر السابق، ص637.

[3] بوبة مجاني: **كتب النوازل و الأحكام مصدر لتاريخ الاجتماعي العصر الزياني نموذجاً**، ملتقى التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، منشورات مخبر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2001، ص119.

من خلال ما سبق يتضح أن لنوازل الثوتيقية أهمية بحيث تقدم معلومات قيمة حول المجتمع في كل جزئياته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وأيضاً تعتبر منهلاً لكل من يريد البحث في مجال الدراسات التاريخية التي تبحث عن الجديد.

وأيضاً ما يميز النوازل عن كتب الفقه هو اشتمالها على خاصية الواقيعة والمحلية والتنوع في التأليف والتجدد المستمر، هذه الخصائص منحت النوازل بالخروج عن المعتاد (الدراسات التقليدية).

وأيضاً يستنتج من خلال نماذج المدونات النوازلية التي قدمتها في المطلب الرابع على وجود أعمدة فقه ميزت عصر الونشريسي، منها ما وصلنا مطبوعاً في كتاب ومنها ما وصلنا ضمن المعيار.

الفصل الثاني:

أبو العباس الونشريسي وكتابه المعيار

المبحث الأول : نبذة عن أبو العباس الونشريسي

المطلب الأول : نسبه و نشأته.

المطلب الثاني : شيوخه وتلاميذه

المبحث الثاني: الإنتاج الفكري للونشريسي

المطلب الأول: مؤلفاته

المطلب الثاني: دراسة كتاب المعيار

يعتبر التأليف النوازلي إحدى الركائز التي يستند عليها الفقهاء بالمغرب الإسلامي، وهذا من أجل إثراء النشاط الفقهي هنالك[1]، وعليه فكما سبق وذكرت فقد لعب الفقهاء دوراً حيوياً، ومن بين المؤلفات التي برزت بشكل كبير الموسوعة النوازلية لصاحبها أبو العباس الونشريسي، والمسماة المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، وعليه أطرح بعض التساؤلات :

- من هو أبو العباس الونشريسي؟
- وماذا ترك لنا من مؤلفات؟
- وماذا يمكن معرفته عن أشهر مؤلفاته" المعيار"؟

[1] كربوع مسعود : **نوازل النقود و المكايل و الموازين في كتاب المعيار للونشريسي** جمعا ودراسة وتحليلاً، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف د/ رشيد باقة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية،جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013/2012، ص28.

المبحث الأول: نبذة عن أبي العباس الونشريسي

المطلب الأول : نسبه ونشأته.

أبو العباس[1]أحمد بن يحيا بن محمد بن عبد الواحد بن علي [2]، الونشريسي، نسبة لجبال الونشريس التي تعد أكثر الكتل الجبلية ارتفاعاً في غرب الجزائر[3]، تلمساني الأصل والمنشئ، وهذا ما أكده البغدادي في هدية العارفين والناصري في الاستسقاء، وكحالة في معجم المؤلفين [4]، الفاسي الدار والمدفن [5]؛ أما بالنسبة لمولده فهي مجهولة، غير أن تحديدها بحوالي سنة أربع وثلاثين وثمانمائة (834) وقد أخذ هذا من أخبار محمد بن قاسم القصار مفتي فاس الذي قال بأن وفاة الونشريسي عام (914ه) وعمره نحو ثمانين عاماً هو ما نقله صاحب نيل الابتهاج وصاحب البستان [6]، إذ قال فيه أيضاً أنه أحامل لواء المذهب على رأس المائة التاسعة[7]، الفقيه الحافظ المفتي التلمساني نزيل مدينة فاس ومفتيها[8]، عرف عن أحمد الونشريسي بفصاحة لسانه وبراعة قلمه وشجاعته الأدبية وتعصبه لما يراه حقا، فلم يجامل الحكام و لم يجاريهم فيما يراه يتنافى وتعاليم الشريعة ،ومن خصاله التي تحلى بها

---

[1]أحمد بن يحي الونشريسي: **النوازل الجامعة أو نوازل الجامع**، تح شريف المرسي، دار الأفاق، القاهرة، ط1، 2011، ص20.

[2] أحمد ابن القاضي المكناسي: **جذوة الإقتباس** في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط،دط، 1973، ج1، ص 156.

[3] أحمد بن يحي الونشريسي: **المِعْيَارْ المُعَرَبْ والجَامعْ المغربُ عَنْ فتاوي علماء إفريقية وَالأُندلس وَالمغرب**، تح محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1981، ج1/ص أ.

[4]عمر بلبشير: **ورقات عن حياة وآثار الونشريسي صاحب المعيار، مجلة عصور**، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، ع 4-5 الجزائر، 2003-2004، ص56.

[5]الونشريس: **النوازل الجامعة**، المصدر نفسه، ص 20.

[6] عمر بلبشير: المقال السابق، ص56.

[7]ابن مريم:المصدر السابق، ص53، اَنظر، التنبكتي: المصدر السابق، ص 135.

[8]المكناسي: المصدر السابق، ص 156.

والتي أوردها ابن عسكر : "كان شديد الشكيمة في دين الله لا تأخذه في الله لومة لائم "، وهذا ما أثر على علاقته مع الأمراء والحكام بحيث لم يكن كثير التردد عليهم [1].

وذكر ابن مريم في كتابه البستان أنه قد حصلت له نكبته من طرف السلطان الزياني محمد الخامس بن تابت سنة 874ه فانتبهت داره وفرّ إلى مدينة فاس واستوطنها [2]، ومن الأسباب التي رجحها المحقق إلى خروجه من تلمسان هو انتقاده لما قام به السلطان، إذ أنَّ هذا الأخير قام بنبش القبور من أجل بناء سور أو برج وذكرها الونشريسي نفسه بعد انتقاله مباشرة إلى فاس [3] ؛ إذ نزل على الأستاذ محمد الصغير، فأورد لنا ابن القاضي نقلا عن المنجور كيف أن الأستاذ قد اختفى به ورحب به، كما تحدث عن تردد الونشريسي لمجلس أبي عبد الله محمد بن عبد الله اليفريني المعروف بالقاضي المكناسي (ت917) قاضي الجماعة بها، وقد سكن الونشريسي في دار الحبس من فاس [4]، فلقيا بها من حفاة فقهائها وإقبال طلبتها عليه ما أنساه الغربة، وجعله ينسجم في بيئته الجديدة انسجاماً تاماً، ويتخذ من هذه البلدة موطناً له ولأبنائه من بعده[5]، وتحدث عنه صاحب دوحة الناشر في كتابه، حينها قال :"ولقد رأيته مر يوماً بالشيخ ابن الغازي بجامع القرويين، فقال ابن الغازي لمن كان حوله من الفقهاء لو أنَّ رجلاً حلف بطلاق زوجته، أن أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك (أصوله وفروعه) لكان بارًّا في يمينه، ولا تطلق عليه زوجته".

---

(1) محمد الحسني ابن عسكر : **دوحة الناشر** لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العشر، تح ، محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف وترجمة و النشر، الرباط، ، ط2، 1977، ص47.

(2) ابن مريم: المصدر السابق، ص 53-54

(3) الونشريسي: المعيار، ج1/ 329.

(4) وداد القاضي: **نبذة عن المدرسة في المغرب حتى أواخر القرن التاسع الهجري** في ضوء كتاب "المعيار" للونشريسي، الفكر الإسلامي العربي ، بيروت، ع21، 1981، ص62.

(5) إدريس كرم: المرجع السابق، ص 40.

راجع هذا إلى تبحره وكثرة إطلاعه وحفظه [1].

وقد سرد ابن عسكر حكاية تأليف كتاب المعيار:" بحيث أنه كانت له عرصة كان يرتادها كل يوم، ويجعل حماراً يحمل عليه أوراق الكتب من كل كتاب ورقتين أو ثلاثة، فإذا دخل العرصة جرد ثيابه وبقي في قشابة صوف يحزم عليها بمضمة جلد ويكشف رأسه وكان أصلع، ويجعل تلك الأوراق على حدة في صفين و الدواة في حزامه والقلم في يد و الكاغيد في الأخرى، وهو يمشي بين الصفين ويكتب النقول من كل ورقة، حتى إذا كان فرغ من جلبها على المسألة قيد ما عنده وما يظهر له من الرد والقبول"[2].

توفي سنة 914ه بفاس[3]، وقد رثاه محمد الوادي آشي بأشعار منها هذه الأبيات :

رأيت نجوم الأرض تبكي حزينة على فقد من كان قطب زمانه

فقلت ومن هذا؟فقالت مجيبة على الونشريسي وحيد أوانه

إليه انتهت كلّ رياسة ومعرفة زينت بحسن بيانه[4].

---

[1] ابن عسكر: المصدر السابق، ص47 .

[2] ابن عسكر: نفسه، ص 48.

[3] محمد حجي: **موسوعة أعلام المغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1، 1996، ج2/ 823

[4] ناصر الدين سعيدوني : **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي** ترجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999، ص 278.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.

لقد أخذ الونشريسي عن شيوخ بلده تلمسان في مقدمتهم العقبانيون الإمام أبي الفضل قاسم بن سعيد العقباني: من أكبر شيوخ الونشريسي وأغزرهم علماً، ولّي القضاء بتلمسان، وقد وصفه الونشريسي " بشيخنا وشيخ شيوخنا"، له تعليق على ابن الحاجب الفرعي، وأرجوزة تتعلق باجتماع الصوفية على الذكر، توفي أربع وخمسين وثمانمائة ه[1].

وولده القاضي العالم أبي سالم العقباني : وصفه الونشريسي بشيخنا الإمام القاضي الفاضل أخذ عن والده وغيرهم من علماء تلمسان، وحصّل وبرع وألف وأفتى وتولى القضاء بعد عزل ابن أخيه العلامة محمد بن سعيد بن القاسم [2].

وحفيده محمد بن أحمد: كان فقيها عارفاً بالنوازل، توفي سنة إحدى وسبعين وثمانمائة ه[3].

والإمام محمد بن العباس العبادي : الشهير بابن العباس له شرح لامية الأفعال، قال عنه الونشريسي أنه شيخ المفسرين " شيخ شيوخنا" سنة إحدى وسبعين وثمانمائة [4].

وأبو عبد الله محمد بن علي بن قاسم الأنصاري: يعرف بالمرُّي قال عنه الونشرسي " شيخنا ومفيدنا المقدم"، توفي سنة أربع وستين وثمانمائة ه[5].

---

[1] التنبكتي: المصدر السابق، ص365.

[2] أحمد بن يحي الونشريسي:**الوفيات**، تح، محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، ص150. اَنظر التنبكتي:المصدر السابق، ص52.

[3] التنبكتي: نفسه، ص499. اَنظر الونشريسي: **الوفيات**، ص 103.

[4] الونشريسي: **الوفيات**، ص102.

[5] الونشريسي: **الوفيات**، المصدر السابق، ص 98. اَنظر التنبكتي: المصدر السابق،ج 1-2/ 219.

والشيخ أبي عبد الله محمد بن عيسى المغيلي، المعروف"الجلاب": قال الونشريسي عنه "شيخنا الفقيه المحصل الحافظ" توفي سنة خمس وسبعين وثمانمائة[1].

والإمام الخطيب الصالح الكفيف ابن مرزوق: وَلد الإمام أبي الفضل الحفيد ابن مرزوق، قال عنه الونشريسي في ما قال: "شيخنا الفقيه الحافظ الخطيب، المصقع" توفي سنة إحدى وسبعين وتسعمائة[2].

وأبو عبد الله محمد بن القاسم حمد بن أحمد القوري اللخمي المكناسي : تم الفاسي ، قال عنه الونشريسي " تاج الأئمة الحفاظ " توفي سنة اثنين وأربعين وثمانمائة[3].

وأبو العباس أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني: عارضة تلمسان ومفتيها الفقيه المحصل العالم المشارك، توفي سنة تسعة وتسعين وثمانمائة[4].

والغرابلي[5]،وكما سبق وقلت فقد تتلمذ على يد المازوني، ثم انتقل إلى فاس وتابع دراسته بها واستفاد من العديد من العلماء بها في طليعتهم قاضي مكناس محمد بن أحمد اليفريني، ومحمد القروي،فعد من العارفين بعلم الحديث والتفسير والتوحيد والمنطق وتميز بإطلاعه الواسع على مسائل الفقه والقضايا التي تتصل بالأقضية والنوازل والفتاوى والأحكام[6].

---

(1) الونشريسي: **الوفيات**، ص105.

(2)الونشريسي:نفسه، ص154. اَنظر التنبكتي: المصدر السابق ج1-574/2

(3)الونشريسي: **الوفيات**، ص104

(4)الونشريسي: نفسه، ص111

(5) ابن مريم: المصدر السابق، ص53.

(6)ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 277.

تلاميذه:

أقبل الونشريسي في فاس على تدريس المدونة ومختصرات ابن الحاجب الفرعي[1]، وقد تخرج على يده جماعة من العلماء والفقهاء هم رواد مدارس المغرب في القرن العاشر الهجري إذ شاركوا في الحركة الفكرية في أواخر الدولة المرينية وبداية نشأة الدولة الوطاسية كما نالوا درجات عليا في القضاء والفتوى في كامل أنحاء المغرب الأقصى[2]، وفي مقدمتهم نجله **عبد الواحد** الذي تولى القضاء بفاس واغتيل غدراً بجامع القرويين سنة خمس وخمسون وتسعمائـــة ه[3].

وأبو عبد الله بن محمد الغدريس الثغلبي : وبخزانته هذا الرجل انتفع منها لاحتوائها على تصانيف الفنون، وبها استعان في تصنيف كتابه المعيار خاصة ما تعلق بفتاوى فاس والأندلس[4]

و إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي الورتدغيري : وهو رحالة أخذ عن الونشريسي بالإضافة إلى أئمة آخرين كابن الغازي توفي سنة تسعمائة ه ببلاد السودان[5].

وأبو الحسن على بن الحسن بن هارون المطغري : مفتي مدينة فاس وخطيب جامعها القرويين أخذ عن ابن الغازي، وابن العباس الونشريسي، انتهت إليه رئاسة الفقه والإفتاء توفي سنه خمسة عشر وتسعمائة هـــ.

---

(1) ابن مريم: المصدر السابق، ص 54.

(2) أحمد بن يحي الونشريسي: **كتاب الولايات** ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، تع محمد الأمين بلغيث، منشورات لافوميك، الجزائر، 1985، ص10.

(3) زبير سالمي: **قضايا المياه في المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل المعيار المعرب للونشريسي أنموذجا** من القرن 7هـــ إلى القرن9ه/ 13-15م، إشراف خالد بلعربي، مذكرة شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2013/2012، ص 13.

(4) التنبكتي:المصدر السابق، ج1-135/2

(5) أسماء بوتاريه: **نظام المساقاة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي**، إشراف د / بوبة مجاني، مذكرة ماستر في تاريخ بلاد المغرب الحضاري في العصر الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة قسنطينة 2، 2013/2012، ص 13.

وأبو محمد عبد السميع الصمودي : من جبل درن أخذ عن الونشريسي مختصر ابن الحاجب الفرعي، ورجع إلى بلاده حيث جلس إليه عدد كبير من طلاب العلم.

وعبد الله بن عمر المطغري: إمام حافظ أخذ في فاس عن أبي عبد الله محمد بن القاسم القوري ، وأبي العباس الونشريسي توفي سنه سبع وعشرين وتسعمائة [1].

[1] أسماء بوتاريه: المرجع السابق،ص 13-14.

المبحث الثاني: مؤلفاته وكتاب المعيار

المطلب الأول: مؤلفاته.

لم تقتصر جهود الونشريسي على الجانب العلمي فحسب، وإنما تعدت إلى التأليف بحيث ترك الونشريسي العديد من التصانيف جلها في أمور الفقه ومسائل الشريعة، عرف منها:

- أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى و لم يهاجر وما ترتب عليه من العقوبات، وضعها في شكل رسالة أجاب فيها الفقيه الغرناطي محمد بن قرطبة في شأن من بقي من المسلمين في الأندلس تحت حكم النصارى، حيث أفتى فيها بمعصية من بقي بدار الكفر و لم يهاجر بعد تغلب الكفار على دار الإسلام، وقال فيها أيضاً بقتل من نزح من دار الإيمان إلى دار الكفر لأن كليهما حسب حكمه مرتكب كبيرة وقد أدرج حكمها في كتابه المعيار[1].
- الأجوبة وتعرف بالمسائل القلعية، وهي عبارة عن أربعة وخمسين مسألة وردت على الونشريسي من قبل الفقيه أبي عبد الله محمد القلعي والتي أجاب عنها الونشريسي.
- الأسئلة والأجوبة، وهذا الكتاب يتضمن مجموعة من الأسئلة والأجوبة وضعها عام 871ه بتلمسان وبعث بها إلى الشيخ عبد الله القوري بفاس وضمن معظمها في المعيار [2].
- إضاءة الحالك في الرد على من أفتى بتضمين الراعي المشترك، وهو كتاب صغير الحجم في بضع صفحات، ذكره الونشريسي ضمن كتابه المعيار حيث لخصه في بضعة أسطر" ثم لج في ضلاله وتمادى على الرد خلاله، حملني لحاجة، وعدم انقياده للحق واعوجاجه[....]

---

(1) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 279.اَنظر أيضا مقال الدكتور حسن مؤنس إذ نشر تحيلاً مبسطاً حولها، في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة 1957، مصطفى الصمدي: المرجع السابق، ص31.

(2) أسماء بوتاريه: المرجع السابق، ص 15.

-سميته بإضاءة الحالك والمرجع بالدرك على من أفتى من فقهاء فاس بتضمين الراعي المشترك"[1].

-الفائق في الوثائق، أو المنهج الفائق والمنهل الواثق والمعنى اللائق بأدب الموثق وأحكام الوثائق، أفاد منه ابن مريم إلا أنه لم يقم بإتمامه[2].

-الولايات، تناول فيها الخطط الشرعية في سبع عشرة ولاية وهو حسب رأي الدكتور محمد الأمين بلغيث رسالة مغمورة قد أكسبت الونشريسي مكانة هامة[3] .

-الوفيات، المعروف بوفيات الونشريسي، ذيل فيه كتاب " شرف الطالب في أسمى المطالب" لابن قنفد، وهو مؤلف رغم صغر حجمه إلا أنه يعتبر من أهم الكتب التي دونت عن منطقة ونشريس بحيث تضمن لائحة بأسماء المفتين من أعلام المائة الثامنة والتاسعة، من سنة701ه إلى سنة912ه[4].

-عدة البروق في تلخيص ما في المذهب من الجموع والفروق: وهو كتاب عكف على تأليفه مرتين، الأولى بتلمسان والثانية بفاس بعد أن انتهت مع جمله الأغراض التي أخذت في محنته بتلمسان [5]؛ حل الربقة عن أسير الصفقة.

- المبدي لخطأ الحميدي: وهو عبارة عن تصويبات من ما ذهب إليه أحد طلبة فاس.

- تنبيه الحاذق الندس، على من سوى بين القرويين والأندلس

-وأيضا تنبيه الطالب الدراك، القصد الواجب في معرفة إصلاح ابن الحاجب وهو في ثلاثة أسفار.

- تأليف في ترجمة محمد المقري(الجد).

- شرح الخزرجية في العروض.

- غنية المعاصر والتالي في شرح فقه وثائق أبي عبد الله الفشتالي.

- مختصر أحكام البرزلي .

---

(1) الونشريسي: **المعيار**، ج 8/ 843.

(2)ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 279.

(3)الونشريسي: **الولايات**، ص 11.

(4) الونشريسي: **الوفيات**، ص 2.

(5)زبير سالمي: المرجع السابق، ص36.

- إيضاح السالك إلى قواعد الإمام مالك وفهرسة وضعه برسم تلميذه القاضي ابن عبد الجبار[1].

ويضيف الأستاذ المهدي البوعيدلي أنه له تقريض من طرف صاحب الدرر المكنونة سميا "بالإجازة" أكتشف سنة 1964، من طرف مفتش الشؤون الدينية بولاية قسنطينة السيد نعيم النعيمي، في خزانة الشيخ عبد القادر بن يسعد بقرية الدبة، ناحية قلعة بني راشد قرب غليزان. إذ يشير أن هذا التقريض يفيدنا في معرفة جوانب متعددة من ترجمة صاحب الدرر والظروف التي انتقل فيها من مازونة إلى عاصمة البلاد تلمسان[2].

المطلب الثاني: دراسة كتاب المعيار.

إن المطلع على المدونات الفقيه والمجامع النوازلية وكتب الفتاوى يجد نفسه أمام بحر زاخر متلاطم الأمواج عصارته موسوعات نوازلية ككتاب المعيار المعرب، والذي عرفه مؤلفه في أسطرٍ جاءت في مقدمة الجزء الأول بقوله:" فهذا الكتاب سميته المِعْيَارْ المُعَرَبْ والجَامعْ المغربُ عَنْ فتاوي علماء إفريقية وَالأُندلس وَالمغرب ، جمعت فيه من أجوبة متأخرين ومتقدمين، وما يعسر الوقوف على أكثره في أما كنه واستخراجه من مكانه، لتبدُّده، وتفريقه، وإنبهام محله وطريقه، رغبة في عموم النفع به، ومضاعفة الأجر بسببه، ورتبته على الأبواب الفقهية ليسهل الأمر فيه على الناظر، وصرحت بأسماء المفتين إلا في اليسير النادر" [3].

ويعد هذا الكتاب قمة ما وصل إليه التأليف في النوازل، رجع هذا لكون صاحبه اعتمد في مادته على مؤلفات فقهية ضخمة ألفت حول المغرب الإسلامي والأندلس، طيلة القرون التي انتشر فيها المذهب المالكي، بالإضافة إلى مؤلفات الفقهاء المالكيين المشارقة، وهو ما بينه الونشريسي في مقدمة كتابه، كما ساهم في إتمام النقص الكبير الواقع في المصادر الموضوعية لتاريخ المغرب

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص280.

[2] المهدي البوعبدلي: **الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام أحمد بن يحي الونشريسي**، مجلة الأصالة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ع83-84، 2011، ص26.

[3] الونشريسي: **المعيار**، ج1/1.

وبالخصوص في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مما يجعله مصدراً لا غنى لباحث التاريخ عن دراسته والاعتماد والاستفادة منه[1].

وقد أشاذ المؤرخ أبو القاسم سعد الله بهذا الكتاب قائلا:" ولنعم أن المعيار يمثل نمطاً معيناً من التأليف عند المسلمين" [2]، كما يبين الباحث ناصر الدين سعيدوني المنهجية أو الطريقة التي اعتمد عليها الونشريسي في وضعه لكتاب المعيار بحيث تمثلت في تصنيف المادة التي يريد نقلها حسب أبواب الفقه مع ذكر أسماء المفتين، واثبات نصوص الأسئلة كما صدرت عن أصحابها حتى ولو كانوا محدودي الثقافة[3] ؛ ومن الخصائص التي نستشفها والتي ميزته أنّ نوازله جاءت واقعية، إذ أنّ الأحداث التي وقعت فيه حقيقية، وهذا ما أكده سعيدوني بقوله:" جاءت فتاوي المعيار بعيدة كل البعد عن النظريات والأحكام الافتراضية، إذ تعبر عن محاكاة واقع الناس في حياتهم، وقد سجلها صاحبها بلغة بسيطة، طغت عليها أحيانا لغة العامية"[4].

و لم يكن الونشريسي جامع فتاوي فقط، بل كان أيضاً ناقداً وهذا ما التمسه محققون طبعة ثانية، واستندوا في رأيهم على ما ذكره ابن عسكر صاحب دوحة الناشر، وأن طريقة الونشريسي في ذلك أن يقول (قلت) ليتدخل في الموضوع بالترجيح والتعديل، وكان تدخله من سطر إلى بضع صفحات، ولو جمعت يضيف أبو القاسم سعد الله فتاويه الخاصة لجاءت في مجلد ذلك إنَّ آراءه الفقهية مبثوثة في مختلف أبواب الكتاب[5].

---

[1] عبد الواحد دنون طه: **كتب الفتاوى مصدر للتاريخ الأندلسي**، المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية لثقافة والعلوم، ع 27، 1994، ص 97.

[2] أبو القاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003، ص98

[3] ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق، ص283.

[4] ناصر الدين سعيدوني: نفسه، ص283.

[5] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 97

وتتجلى مكانة الكتاب العلمية في الاهتمام الكبير الذي يشهده من طرف الفقهاء و الباحثين منذ عصر المؤلف إلى يومنا هذا بحيث لا نجد كتاباً فقهياً ألف بعده إلاّ وتضمن إشارات أو إحالات إليه، وما يزيد من قيمته هو احتواءه على نصوص من كتب فقهية أصلية ضاعت ضمن ما ضاع من كتب التراث في القرون الأخيرة[1].

واستفاد منه التنبكتي في تذييل الديباج وعمل أحمد بن سعيد المجيليدي الفاسي على اختصاره في مجلد واحد، وسماه الأعلام بما في المعيار من تاريخ الإسلام، وعمل كذلك المؤرخ Emil Amar دراسة لكتاب المعيار بالفرنسية في جزئين نشرت في باريس 1908، اشتملت على دراسة مختصرة للكتاب وترجمة للمؤلف[2].

وقد طبع المعيار لأول مرة في المطبعة الحجرية بفاس عام 1897م في اثني عشراً جزءاً، بعناية ثمانية من الفقهاء الخطاطين والمصححين وعلى رأسهم أحمد بن محمد البوعزاوي الفاسي ت 1918م، ونقل الأستاذ عمار مختارات من فتاوي المعيار إلى اللغة الفرنسية ونشرها في مجلة الوثائق المغربية بباريس سنة 1908م، وأعيد طبعه للمرة ثانية بإشراف مجوعة من الفقهاء المغاربة في مقدمتهم الدكتور محمد حجي، وقد أكد هذا الأخير أنهم قد أضافوا جزءاً آخر خصصوه لتراجم الرجال المعيار وفهارس الموضوعات والأعلام والأماكن والكتب [3].

يقع المعيار في إثني عشر جزءاً، وهو مقسم حسب الأبواب الفقهية، واستعمل الونشريسي لفظة فتاوي في العنوان ونوازل في المتن[4].

فجاء الجزء الأول في نوازل الطهاة والصلاة والجنائز والزكاة والصيام والاعتكاف والحج.

---

(1) الونشريسي: **المعيار** ج1/ ط.

(2) عبد الواحد دنون طه: المقال السابق، ص 98.

(3) الونشريسي: **المعيار** ج1/ ط- ي.

(4) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 96.

والجزء الثاني في نوازل الصيد والذبائح والأشربة والضحايا والإيمان والنذر والدماء والحدود والتغريرات.

والجزء الثالث في نوازل النكاح، والجزء الرابع في نوازل الخلع والنفقات والحضانة والرجعة * والإيلاء والظهار، واللعان، والتمليك، والطلاق والعدة والاستبراء.

والجزء الخامس في نوازل المعارضات والبيوع ، والجزء السادس في مسائل من الوصايا وقعت ببجاية مع نوازل الرهن والصلح والحوالة والمديان والتفليس.

و الجزء السابع في نوازل الأحباس، والجزء الثامن في مسائل الحياة والمرفق ونوازل الشفعة * والقسمة والإيجارات والأكرية، والصناع بالإضافة إلى أجوبة عن أسئلة مجموعة من السماسرة ، وبعض نوازل الضرر واليتيان ؛ والجزء التاسع في تكملة نوازل الضرر ونوازل الوديعة والعارية والهبات والصدقات والعتق والوصايا وأحكام المحاجير، والغضب والإكراه والاستحقاق.

وأما الجزء العاشر فجاءت نوازله حول الأقضية والشهادات والأعادي والأيمان والوكالات والإقرار والمديان، والجزء الحادي به مواضيع متفرقة تخص الجامع واتخاذ السبحة ومن يطلق عليه اسم الحافظ والمحدث والحجة والثقة على الشخص، وأما الجزء الثاني عشر فجاءت به مسائل متفرقة مع بيان تواتر القرآن والفرق بين القرآن والقراءات مع مسائل عن التفسير وغيره، وفي علم التصوف[1].

ليس هنالك إشارات تدل على التاريخ الذي بدأ الونشريس كتابه المعيار، فهو لم يذكر سوى تاريخ الانتهاء[2]، إذ فرغ الونشريسي من تقيد معياره في الثامن والعشرين من شوال عام واحد

---

* الرجعة: عود المطلق إلى مطلقته، أي طلاق الرجعيُّ مايجوز معه للزوج ردُّ زوجته إلى عصمته من غير استئناف العقد،انظر مجموعة مؤلفين: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولي، مصر، ط5، 2011، ص343.

*الشفعة: هي حق الجار في تملك العقار حيز على مشتريه، بشرط التي رسمها الفقهاء والملك المشفوع والشفعةانظر، مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، ص 506.

[1]ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 282.

[2]أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 96.

وتسعمائة، لكنه حسب ما ذهب إليه المحقق محمد حجي أنه لم يطوي صفحة المعيار طياً نهائيا في هذا التاريخ وظل يتعده بالزيادة والتنقيح إلى آخر حياته، وأعطى تخمينا حول المدة التي استغرقها منذ بداية التأليف وصولا إلى إنهائه وتنقيحه وتوسيعه واستغرق هذا حوالي ربع قرن من نحو عام 890هـ إلى وفاة المؤلف عام 914هـ[1].

مصادر:

يذكر كل من ترجم له أنَّه اعتمد على مكتبة الغرديس التي فتحها له تلميذه محمد الغرديس وتمثل المصدر الأساسي للمعيار، إذ أفادته حول النوازل التي تتعلق بنوازل الأندلس والمغرب الأقصى، في حين اعتمد على في فتاوي المغربين الأدنى والأوسط على نوازل البرزلي، والدرر المكنونة في نوازل مازونة للمغيلي[2]، وأضاف إلى ذلك فتاوي شيوخه كأبي الفضل القاسم العقباني، وابن مرزوق وغيرهما.

واعتمد على كتب الفقه في مقدمتهم مدونة مالك والموازية والعتيبة والبيان، والتحصيل لابن رشد، والنوادر والزيادات، وشرح التلقين للمازري[3].

ومما سق يتضح أن شخصية أبو العباس تعتبر من أهم الشخصيات البارزة التي حملت لواء المذهب المالكي في مئة تاسعة.

ويستنتج أيضاً من خلال ترجمة لشيوخه وتلاميذه أن هذه الفترة مثلت أعمدة العلوم والفقه في كلا الحاضرتين تلمسان وفاس.

---

(1) الونشريسي: **المعيار**ج1/ ص- ح.

(2) التنبكتي: المصدر السابق، ج1-135/2 ، اَنظر أيضاً .R.Bvnschvig. P30

(3) محمد بن مطلق الرميح : **النوازل الفقهية المالية من خلال كتاب المعيار للإمام الونشريسي ت 914هـ**، دراسة نظرية وتطبيقية، رسالة ماجستير في الفقه، إشراف د/ ستر بن ثواب الجعيد، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى السعودية، 1432ه/2011م، ص 170.

وأيضاً يلاحظ من خلال مؤلفات الونشريسي أنه ترك لنا موروثاً زاخراً تحتفي به رفوف مكتباتنا.

وبالنسبة لكتاب المعيار فإنه جمع لنا حكاية تاريخ المغرب الإسلامي(الأدنى، الأوسط، الأقصى) وأيضاً بلاد العدوة الأندلس.

الفصل الثالث:

الملامح الحضارية للمغرب الأوسط

المبحث الأول : ملامح حول الحياة الاقتصادية

المطلب الأول : الزراعة.

المطلب الثاني : الصناعة

المطلب الثالث: التجارة

المبحث الثاني: ملامح من الحياة الاجتماعية

المطلب الأول: الأسرة

المطلب الثاني: المجتمع

المبحث الثالث : ملامح من الحياة الفكرية

المطلب الأول: مؤسسات التعليمية

المطلب الثاني: مـــنـــاهـــــج الـــتدريـــس

المطلب الثالث: حركة التأليف

إن من أهم الملامح الحضارية للمغرب الأوسط والتي أوردها نوازل المعيار للونشريسي قد تجلت في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، فتضمن المبحث الأول ملامح عن الحياة الاقتصادية والذي تضمن بعض جوانب عن الزراعة والصناعة والتجارة، ومنه أطرح التساؤل التالي: ما القيمة المعرفية التي رصدها النوازل عن الحياة الاقتصادية ؟.

أما المبحث الثاني فقد عكس حقيقة أحوال الأسرة وركيزها الأولى المرأة، كما يبين التركيبة السكانية والفئات الاجتماعية لمجتمع المغرب الأوسط وبعض العادات التي جاءت بها النوازل لتثري مجال الدراسات الاجتماعية. والسؤال الذي يطرح نفسه: ماذا يمكن معرفته عن الحياة الاجتماعية؟.

كما يعالج هذا الفصل بعض ملامح الفكرية التي وجدت في المغرب الأوسط، خاصة في الحضرة التلمسانية، بحيث ركزت دراستي على مؤسسة المدرسة والمناهج المعتمدة والتي تعتبر من أهم ركائز الفكر في المغرب الأوسط وأيضاً على حركة التأليف، وعليه في ما تكمن الحركة الفكرية في المغرب الأوسط؟.

الفصل الثالث:الملاح الحضارية للمغرب الأوسط.

المبحث الأول: ملامح عن الحياة الاقتصادية.

تميز المغرب الأوسط، بموقع جغرافي أشاذ به المؤرخون والرحالة، هذا ما ساعد على وجود مساحات زراعية كبيرة انتشرت في ربوعه، وظهرت به صناعات متعددة، كان لهذين العاملين دور كبير في وجود نشاط تجاري على المستوى الداخلي، وأيضا مع الأقطار المجاورة[1].

المطلب الأول: الزراعة.

إنّ من العوامل التي ساعدت على ظهور زارعة نشيطة في المغرب الأوسط، وجود سهول صالحة لزراعة في الجهة الشمالية والجهة الغربية،كسهل واد الشلف* وسهل متيجة، بالإضافة إلى عامل الماء، إذ تتوفر المياه و الأنهار والينابيع الصالحة لزراعة، وقد جاء في الذكر الحكيم العديد من الآيات ذات دلائل وجودية تدل على الماء مثل قوله تعالى:{ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}[2].إضافة إلى اهتمام العلماء والباحثين وخاصة المهتمين بالفلاحة والتربة والمناخ بخصائص الماء، فنجد ابن بصال

---

[1] عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2011، ج1/ص172.

* واد الشلف: حسب ابن خلدون فهو نهر عظيم، منبعه من بلد راشد في بلاد الصحراء وي دخل إلى التل من بلاد حصين لهذا العهد تم يمر مغرباً ويجتمع فيه سائر أودية المغرب الأوسط مثل مينا وغيره إلى أن يصب في البحر الرومي. ابن خلدون : **تاريخ ابن خلدون العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ، ض. م، خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط.م، 2002، ج134/6.

[2] سورة **الأنبياء**، الآية،30.

تحدث عنه في كتابه الفلاحة وتعمق في دراسته فجعله جامع لمعادن غريبة ومنافع جسيمة، وقسمه إلى أربعة أصناف هي ماء المطر، وماء الأنهر، وماء العيون، وماء الآبار[1].

وقد أجمعت مصادر المغرب الأوسط ولاسيما منها الجغرافية وكتب الرحالات، على أن المغرب الأوسط يتميز بجغرافية ممتازة خاصة الجزء الشمالي تجلى هذا بوسط طبيعي ومناخ وتضاريس متنوعة عبر أقاليمه المختلفة، هذا الاختلاف أثر على الشبكة المائية في المغرب الأوسط سواء كانت سطحية أو جوفية[2]، مما انجر عنه ظهور العديد من الخلافات والمشادة بين الفلاحين وسكان المدن وبين الرعاة، وقد أعطت لنا النوازل وصفاً دقيقا حول الصراعات التي نشبت من أجل الماء.

بحيث أن النوازل وخاصة نوازل المعيار قد عكست لنا بوضوح الأهمية الحيوية لهذه المادة، والتي كانت تدفع إلى الحروب بين الجماعات بعيداً كل البعد عن سلطة الشرع والدولة، وإلى تفشي مظاهر الغلبة والتعدي، حينما يصبح الانتفاع بالماء رهينا بالقوة أو حينما يصبح تملك الماء والأرض وسيلة للتحكم في الرقاب وفرض علاقات إنتاجية لا يجيزها الشرع [3]، وتأتي نوازل الماء كغيرها من النوازل في شكل منازعات ترتبط بمشاكل السقي وبالحقول، وهي في هذا لا تكاد تختلف عن نوازل الأرض لما تثيره من قضايا تتعلق بالملكية الفردية والجماعية،و أشار صاحب المعيار إلى قضايا المياه ضمن بعض نوازله فذكر النزاع الذي حدث بين أهل تلمسان مع المزارعين وسببه أن سكان المدينة

---

[1] عبد العزيز فيلالي: **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 2014، ج141/1.

[2] فيلالي: نفسه، ج144/1.

[3] محمد فتحة: المرجع السابق، ص 366.

طلبوا من المزارعين مشاركتهم في إصلاح دُور هدمها مجرى الماء، باعتبار أن المزارعين هم من ينتفعون بنسبة كبيرة من الماء بعد خروجه من المدينة [1]، إذ أن هذه الفئة- المزارعين-بتلمسان كانت تجمعهم عين مشتركة يسقون منها بساتينهم ومزارعهم وقد ذكرت النوازل كيفية توزيع الماء، فهمنهم من كان يروي أرضه نهاراً، ومنهم من يرويها ليلاً [2]. وفي قول الونشريسي:" أنهم التزموا أن يكون السقي بكل ساقية منها نوبة معلومة يأخذه الأعلى فالأعلى من كل ساقية، فإنهم قسموا الماء كل ساقية وأعطوا كل واحد بقدر مراجعه من الأرض، فإذا تم عدد تلك الساعات بالسقي أرسل الماء إلى جاره الأسفل"[3]، وذكر أيضاً في إحدى نوازله أن نظام المناوبة استمرت العادة به فيما ينيف على خمسين سنة أي ما يزيد على نصف قرن [4]، ويضيف الونشريسي أن تلمسان اشتهرت بكثرة قناواتها التي تستمد مياهها من الوادي، وتتشعب تلك القنوات لتروي المزارع والبساتين خارج المدينة[5]؛ هذا ما يفسر وجود صهاريج بناه السكان مثل الصهريج الذي أقام أبو تاشفين الأول718-737ه بالقرب من باب كشوط، يجلب إليه الماء من مرتفعات لالة ستي، يسقون منه الحقول ويوجد صهريج أخر أقل من الأول يمون قصر المشور وحاشية السلطان[6].

---

[1] الونشريسي: **المعيار**، ج335/5.

[2] الونشريسي: نفسه، ج40/8.

[3] الونشريسي: نفسه، ج40/8.

[4] الونشريسي: **المعيار**، ج111/5.

[5] كمال السيد أبو مصطفى: **جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط،1997، ص-ص125-126.

[6] الفيلالي:**بحوث**، ج1/ 149.

وأوضحت النوازل والفتاوى أن الأراضي الزراعية بالمغرب الإسلامي عموماً والمغرب الأوسط خصوصاً كانت تقسم إلى نوعين: الأول أراضي سقوية تجلب إليها المياه للري، سواء مياه الأنهار أو العيون والآبار باستخدام آلات رفع المياه مثل النواعير أو السواقي والدواليب، والنوع الثاني أراضي بعلية أي تروى بماء المطر [1]، وبالنسبة لملكية الأرض فإن النوازل ساهمت في إعطائنا صورة عن علاقات مختلفة بالأرض، فهنالك أراضي ملك، وأراضي خاضعة لدولة، وقد تقسمها بالإقطاع أو تملكها عن طريق الأحياء، وأراضي أحباس[2]،وجاء في نازلة ذكرها الونشريسي عن اقتطاع الأراضي أن رجلا من تلمسان اختص لنفسه قطعة أرض بقرب من العباد مضى عليها السنين دون أن يعرف لها مالك، وقد افتتحها وخدمها وغرسها، منذ أزيد من خمسين عاماً، وقد صنف أبو العباس مثل هذه الأراضي إلى أراضي الظهير[3]*.

وقد تنوعت المحاصيل الزراعية في تلمسان بين منتجات استهلاكية مباشرة، ومنتجات زراعية تخص الصناعة الأولية [4]، فأورد صاحب المعيار صورة عن الإنتاج الزراعي من خلال نوازله التي وصفت لنا المراحل الأولى لعملية الحرث، وتسميد والبذر، كما نجد أنه قد أعطى توصيفاً لبعض أسماء المنتجات الزراعية منها الخضروات كالبصل والبقول، والثوم واللفت، والخس [5].

---

[1] كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص129.

[2] إسماعيل بركات:**الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبو زكرياء المغيلي المازوني**، رسالة ماجستير، إشراف د/ عبد العزيز فيلالي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010، ج26/1.

*الظهير: يقال جعله ظهرياً أي جعله نسيا منسياً أي أراضي منسية مرة عليها الزمن دون معرفة مالكها،انظر مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، ص599.

[3] الونشريسي: **المعيار**، ج117/5.

[4] فيلالي: **تلمسان**، ج176/1.

[5] الونشريسي: **المعيار**، ج129/8.

وعدد الوزان بعض أنواع المنتجات الزراعية إذ يقول :" وفي خارج تلمسان ممتلكات هائلة، فيها دور جميلة للغاية، ينعم المدنيون بسكناها في الصيف حيث الكرم المغروسة الممتازة تنتج أعناباً من كل لون طيب المذاق جدًّا، وأنواع الكرز الكثيرة التي لم أرى لها مثيلاً في جهة أخرى والتين شديد الحلاوة وأسود غليظ طويل جداً يجفف ليأكل في الشتاء، والخوخ والجوز واللوز، والبطيخ والخيار[1]، وغيرها من الفواكه المختلفة، ومنه فإن الوزان قدم هو الآخر إحصاء لبعض الفواكه تعتبر جرد لما تنتجه أرض المغرب الأوسط.

زد على ذلك اعتماد الفلاحين على المطمورات من أجل الحفاظ على منتجوهم مثل القمح والشعير، فعلى حدّ قول الونشريسي في نازلة غاب فيها زوج عن زوجته وكانت قد داينته بعشرة دنانير، فقال لها يوم سافر بأن تأخذ مقابلها ثلاثة أثمان قمحاً وهي في المطمورة[2].

كما تفيدنا أيضاً في معرفة النوع الثاني من المزروعات الصناعية والمهمة في عهد الدولة الزيانية وهي زراعة الكتان، بحيث ذكر الونشريسي في هذا السياق نازلة في قسمة الكتان وهو حطب[3]، وفي نازلة أخرى ذكر لنا فيها عن بعض أنواع الكتان التي تباع، إذ فيه القصير والتام وجيد

---

[1] الوزان: المصدر السابق، ج20/2.

[2] الونشريسي: **المعيار**، ج89/5.

[3] الونشريسي: نفسه، ج/5 256.

ورديء وهذا الأخير لا يجوز فيه البيع [1]، وقد واجهت الزراعة بالمغرب الأوسط بعض المشاكل أوردها الونشريسي مثل السيول والجفاف والقحط والريح والآفات الزراعية كالحشرات والفراش[2].

المطلب الثاني: الصناعة.

عُرفت تلمسان الصناعة قبل قيام الدولة الزيانية، إلا أن المؤرخين الذين تحدثوا عنها قبل قيام الدولة و لم يولوا اهتماماً لذكر الصناعات فيها، بيد أن الإشارات الدالة على وجود صناعة لم تظهر إلا في مع قيام الدولة الزيانية، إذ شيدت المصانع، واهتمت بصناعة القماش من الصوف والحرير والكتان وصناعة القرميد والخزف والفخار، وبعض لوازم الخيل [3]، وما ساهم في انتشار الصناعة هو توفر العديد من المواد الأولية،واهتمام السكان بالفلاحة ويضيف الوزان في حديثه عن الصناع بأنهم أقوياء يعيشون في هناء ومتعة ويحبون التمتع بالحياة[4]، ومنه فإن كل من يحي بن خلدون والوزان قد وصف حال الصناعة خاصة صناعة النسيج والصوف وأيضاً تموقعية الصناع آنذاك.

وتأتي النوازل هي الأخرى لتبين لنا صناعة أخرى داع صيتها خاصة وأنّ عصر الدولة الزيانية أشتهر بكثرة التأليف، ألا وهي صناعة الورق والتي كانت موجودة بتلمسان. فعلى حدّ قول الونشريسي فقد أستعمل الكاغد الرومي في باقي بلاد المغرب غير مدينة فاس وجزيرة الأندلس فإنهم

---

[1] الونشريسي: **المعيار**، ج6/ 190.

[2] كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص131.

[3] فيلالي: **تلمسان**، ج182/1./ أنظر أيضاً عثمان منصوري: المقال السابق، ص95.

[4] الوزان: المصدر السابق، ج20/2.

يستعملون الورق، وقد كان يستعمل قبل هذا الزمان بتلمسان [1]، كما كانت صناعة جلود الغزلان تدبغ وترقق بطريقة فنية تجعلها صالحة للكتابة عليها، خاصة قبل انتشار صناعة الورق، وقد تطرق إليها الونشريسي ضمن فتولى مطولة لمحمد ابن مرزوق الحفيد التلمساني [2]، ناهيك عن صناعة الصباغة، فذكر الوزان أن منطقة العباد * كثيرة الازدهار وافرة السكان والصناع ومعظمهم من الصباغين وكما تحدث عن أهل تفسرة بأنهم لا يشتغلون بغير خدمة الحديد ونقله إلى تلمسان [3]، ومنه ألاحظ أن الوزان قدم صور عن وجود مناجم خاصة بالحديد، كما وجدت بتلمسان دار صناعة التي شيدت سنة 766ه/1365م، ولها فائدة حربية فاستقطبت الصناع على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وديانتهم، ويصف يحي بن خلدون وصفاً دقيقاً لهذه الدار بحيث بدا إعجابه بها واضحاً وقد وقدم بعض أصناف الصناع الموجودون بها كالسراج والخباء والحداد وصائغ ودباج، وكان سهل وادي الوريط بضواحي تلمسان يحتوي على مجموعة من الورشات الصناعية، التي أسسها المهاجرون الأندلسيون الذين نقلوا إليها صناعة الاطرزة والمنسوجات الحريرية والقطنية ومعامل الفخار والخزف والأسلحة المختلفة[4].

---

[1] الونشريسي: **المعيار**، ج1/85. وقد اختلف الفقهاء في مسألة استعمال الكاغد الرومي من طرف المسلمين، وكثرت الفتاوي، اَنظر أيضا مختار حساني: **الدرر المكنونة**، ج1/71.

[2] محمد حجي: **نظرات فقهية**،ص- ص /145-147.

* العباد: مدينة صغيرة شبه ريض تقع في جبل على بعد ميل جنوب تلمسان كثيرة الازدهار، وافرة السكان والصناع ومعظمهم من الصباغين وبها ضريح سيدي أبو مدين شعيب. اَنظر الوزان: المصدر السابق،ج2/24.

[3] الوزان: نفسه، ج2/ص24.

[4] فيلالي: **تلمسان**، ج1/ ص- ص 221- 222.

كما تطرقت النوازل لجانب آخر من جوانب العمل تتمثل في علاقة أرباب العمل مع الصناع، وخاصة في وجود الخلافات حول الأجرة، بحيث سئل المازري عن الصانع يدعي أنه عمل على غير اتفاق ويدعي رب المال ما يشبه ذلك، فمن يكون القول قوله[1].

فنلاحظ أنها توفر لنا معطيات مهمة عن تنظيم الجماعات من ناحية هيكلتها ومجالات أنشطتها، والتصدي لبعض شوائب النشاط الصناعي وضبط العلاقات بين مختلف أطراف الإنتاج[2].

المطلب الثالث:التجارة

لتلمسان دور تجاري بارز بحكم موقعها، فهي تقع على طريق الممتد بين المغرب الأدنى والمغرب الأقصى وهي نفس الوقت تمثل حلقة وصل أخرى بين أوروبا وبلاد السودان، هذا ما أكده القزويني والمراكشي أن تلمسان تعتبر محطة رئيسية بالاتجاه نحو المغرب الأقصى من الطريق الشرقي عبر مسلك أشير ثم مليانة * وواد الشلف [3].وقد مارس التجارة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني تجار من مختلف الديانات والأمصار، وانقسمت التجارة إلى قسمين تجارة داخلية، وتجارة خارجية.

أما تجارة داخلية وهي التي سيطرت عليها التجار الصغار والذين كانت أعدادهم كبيرة جدًّا في مدينة تلمسان التي تعتبر حاضرة المغرب الأوسط، ويعتبرونها حجر أساس في شبكة التجارة

---

[1] الونشريسي: **المعيار**، ج221/8.

[2] محمد فتحة: المرجع السابق،ص270.

* مليانة: مدينة كبيرة وصفها المؤرخون، بأن بها دُور كثيرة تتوفر على عدد من الينابيع معظم سكانها من صناع الجوخ والسروج، اَنظر لمارمول كربخال: **إفريقيا**، تج، محمد حجي وآخرون، دار النشر للمعرفة، الرباط، د.ط، 1989، ج360/2.

[3] إسماعيل بركات: المرجع السابق، ج1/ 52.

بالمغرب الأوسط، بحيث أنهم تعاطوا التجارة في الأسواق المنتشرة وفي دكاكينهم [1]،وانتشرت الأسواق في عهد الدولة الزيانية فكانت من الركائز الأساسية للعملية التجارية وما ينتج عنها من بيع وشراء، وعرض مختلف البضائع والمنتجات وكانت منظمة حسب البضائع والسلع التي يملكها التجار وهي موزعة على أنحاء المدينة وفي دروبها وفي الأسواق العامة المتخصصة، وامتازت بالنشاط والتطور بفضل المخازن والمصانع، واشتغل بها حتى العلماء والفقهاء[2]، وقد أورد الوزان عن سوق كان يعقد كل يوم خميس يباع فيه عدد وافر من الماشية والزيت، والعسل كثير ومن منسوجات البلاد وأشياء أخرى أقل قيمة كالحبال والسروج والأعنة وحاجيات الخيل [3]؛كما أشارت المصادر إلى بعض الأسواق كسوق بني راشد *، وسوق ترنانة وسوق البزّ أو الغبار، وسوق الماشية، وسوق الخضر والفواكه، وسوق اللّحم وغيرها[4].

وكان تجار تلمسان يتاجرون بالحنابل، مع أهل بجاية * التي ترد إليها أنواع عديدة من الأقمشة تنوعت مادة صناعتها بين القطن والكتان والحرير، وفي هذا الباب وأورد الونشريسي مسألة تتعلق بتاجر تلمساني يدعى زيد المازوني، قصد بجاية تاجراً حاملاً معه بضاعة من الحنابل والحرير [5].

---

[1] فيلالي: **تلمسان**، ج1/ 216.

[2] فيلالي: نفسه، ج134/1.

[3] الوزان: المصدر السابق، ج2/ 26.

* بني راشد: هو إقليم يمتد على طول نحو خمسين ميلا من الشرق إلى الغرب أغلب أراضيه صالحة لزراعة، اَنظر الوزان: المصدر السابق، ج2/ 26.

[4] إسماعيل بركات: المرجع السابق، ج54/1.

* بجاية: مدينة عظيمة كانت في عهد ازدهارها تحتوي على أكثر من عشرين ألفاً من الدور العامرة، بناها الرومان على سفح جبل، اَنظر،كربخال: المصدر السابق، ج2 /376.اَنظر أيضاً الوزان: المصدر السابق، ج2/ 50.

[5] الونشريسي: **المعيار**، ج108/5.

وقد ظهرت تجارة الرقيق أيضاً ضمن ما هو موجود في السوق، فقد ذكر الونشريسي فإحدى نوازله التي أوردها عن تجارة الرقيق، إذ سئل فقيه قسنطينة وقاضيها أبو عبد الله سيدي محمد الزنديوي، عمن اشترى عبداً ثم باعه من آخر، وقبض منه بعض ثمنه[1].

وصف حسن الوزان التجار بأنهم أناس منصفون مخلصون وأمناء في تجارتهم، يحرصون على أن تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحسن وجه، وأهم أسفارهم التجارية إلى السودان الغربي، وهم وافروا الغنى أملاكاً ونقوداً [2]، لكن قد عالجت النوازل هذا الجانب وذهب نوعاً ما عكس ما قاله الوزان، حيث تجلى عمل المحتسب أو صاحب السوق في ضبط المكاييل والموازين للباعة الثابتون أصحاب الدكاكين، وأورد لنا صاحب كتاب المعيار عن نازلة يحرم فيها بيع السلعة المغشوشة، والسنة النبوية تأكد على هذا إذ سئل عن رجل يقيم المحاشي للبيع ولها سيرة معلومة، وذلك أن أبدان البطائن يجعلونها من جيد الثياب لأجل ظهورها وأكمامها من رديها لخفائها، ويقطنها القطان وقد علم السيرة، فيجعل للقطن في مواضع التقلب في المقدم والأعمدة، ثم يترك من القطن شيئاً في ناحية من النواحي ليأخذه الخياط فيجعله في المناكب والمواضع التي يمسك بها، ثم يدخله في السوق فيبيعه والتاجر يعلم ذلك كله، بل يأمر لينشط البدوي أو من كان عليه شراءه [3]، وهذه بعض الطرق التي كان يستعملها بعض التجار من أجل الكسب السريع.

أما بالنسبة للتجارة الخارجية فقد نشطت عاصمة المغرب الأوسط، واعتبرت رواقاً للبحر الأبيض المتوسط، ولعبت القوافل التجارية دوراً هاماً في تنشيط المبادلات خاصة نحو الجنوب، ومثلت وهران همزة وصل لنقل المنتجات والبضائع الصحراوية، كالصوف والسيوف والخناجر والأدوات

---

[1] الونشريسي: **المعيار**، ج127/6.

[2] الوزان: المصدر السابق، ج21/2.

[3] الونشريسي: نفسه، ج202/6.

الفخارية والخشبية،كما توفرت تنس * على بعض المنتجات كالشمع والجلود التي كانت تنقل إلى مينائها وتباع للتجار الأوروبيون مقابل اثاوة ضئيلة خصصها لنفسه أمير التنس [1]، وقد وجد أعداد متزايدة من التجار بما فيهم السلاطين بالأندلس والمغرب الأقصى والمغرب الأوسط يدخلون في شراكات مع السفن الأوروبية وهذا من أجل تفادي أضرار القرصنة، والشيء الذي ألفت انتباه المؤرخين من بينهم محمد فتحة هو استعمال العلماء والعامة سفن النصارى بقصد السفر والحج والتجارة[2]، وانقسمت الطرق التجارية البرية إلى طرق ساحلية تربط بين المدن الساحلية مع بعضها البعض من جهة وبين المدن الداخلية من جهة أخرى،كما وجدت تجارة تربط بين دمشق ومدينة قسنطينة* أوردها الونشريسي ضمن كتابه المعيار[3]، وأيضاً هنالك طريق بري داخلي يربط بين مدن الساحل والحواضر الصحراوية، ولقد ورد في المعيار ذكر أهم المراكز والمحطات التجارية في الطرفين مثل غانة وأودغست وتادمكة وتوات والصحراء وسجلماسة ومراكش وفاس وسبتة والجزائر وتونس[4].

---

* التنس: مدينة عتيقة بناها سكان البلد الأصليون، على سفح جبل تبعد على البحر بنصف فرسخ، وهي في منتصف الطريق بين مدينة وهران ومدينة الجزائر، اَنظر كربخال: المصدر السابق، ج2/ 345.

[1] إسماعيل بركات: المرجع السابق،ج56/1.

[2] محمد فتحة: المرجع السابق، ص314.

* قسنطينة: مدينة بناه الرومان، ذات أسول عتيقة عالية وهي واقعة على جبل شاهق ومحاط من جهة الجنوب بصخور عالية، وهي تضم ثمانية آلاف كانون، مليئة بالدور الجميلة، والبناءات المحترمة، كالجامع الكبير، ومدرستين والثلاثة أو أربعة زوايا،اَنظر الوزان: المصدر السابق، ج2/ ص-ص 55-56.

[3] الونشريسي: **المعيار**،ج262/2.

[4] محمد حجي: **نظرات فقهية**، ص127.

المبحث الثاني: ملامح من الحياة الاجتماعية.

المطلب الأول: الأسرة.

حظيت الأسرة في المجتمع الزياني بنوع من الحياة الديمقراطية على رغم من المظهر الديكتاتوري الذي يخول للأب المسؤولية الأولى، إلا أنّ هذا لم يلغ الدور الهام للمرأة في الحياة العامة بالدولة الزيانية، فبالرغم من القيود التي فرضتها التقاليد على المرأة وأيضاً مسؤولياتها في تدبير شؤون المترل وقيامها بتربية الأطفال فقد أسهمت بدور بارز في عدة جوانب اجتماعية وثقافية[1].

كما ساهمت في النشاط السياسي والحربي، وفي نظام الاستخبارات، فقد دون التاريخ الدور الذي لعبته أم يغمراسن" سوط النساء" عندما استولى السلطان أبو زكرياء الحفصي على الحاضرة تلمسان، سنة 646ه وأخرج منها السلطان يغمراسن، وهذا تجلى هذا في عقد معاهدة سياسية مع الحفصين، باسم ابنها، وقد أشاذ بها عبد الرحمن ابن خلدون لما كانت تتمتع به من قوة الشخصية والشجاعة الأدبية جعلت العاهل الحفصي يكرم بها [2]، واهتم أصحاب النوازل الفقهية بالأسرة من خلال النوازل إذ أورد كل من أبو العباس الونشريسي والشيخ أبو زكرياء المغيلي المازوني نوازل تتعلق بها، إذ بينت النوازل بعض القضايا التي تتعلق بالمرأة سواء كانت حرة أم أمة والعديد من الحقائق والإشارات المتعلقة بالزواج والحياة الأسرية في مجتمع مغرب الأوسط[3]، ومن هذه القضايا والأحكام

---

[1] مختار حساني: **تاريخ الدولة الزيانية** (الأحوال الاجتماعية)، دار الحضارة للطباعة ، الجزائر، ط1، 2007، ج3/ 198.

[2] فيلالي: **تلمسان** ، ج293/1.

[3] كمال السيد أبو المصطفى: المرجع السابق، ص89.

الشرعية قضية المرأة والعلاقة بينها وبين الزوج، فقد أورد الونشريسي بعض القضايا التي كانت تطرح في المحاكم مثل ما ورد في هذه النازلة التي جاء بها: وسئل الشيخ أبو عبد الله السطي رحمة الله عام سبعة وثلاثين وسبعمائة، بظاهر تلمسان عن رجل التزم نفقه الزوجة وكسوتها وكراء مسكنها وكتب وثيقة عليه ثم اختلفا والد الزوجة مع والد الزوج حول مدا صلاحية هذا الاتفاق [1]، فنجد أن قضية النفقة كانت موجودة منذ القرن الثامن.

كما وجدت قضية أخرى ولازالت بعض جذورها متناثرة في ربوع المغرب الأوسط، وهي قضية الميراث، وتحث الضغوط التي اتخذها المجتمع كذريعة لمنع النساء من الميراث، سئل فقهاء تلمسان شيخنا القاضي الإمام أبو سالم سيدي إبراهيم العقباني من طرف بلاد القبلة (الواحات) عن هذه الظاهرة [2].

وتناولت نوازل المازوني هي الأخرى قضايا المرأة،فتحدثت عن الزواج وما يسبقه من خطبة المرأة ومسألة الصداق أو المهر الذي كان يعتبر من اكبر المشاكل التي تواجه الشباب، فقد ذكر المازوني أنّ رجلا زوج ابنته بكر بصداقة وخادم، على أنّ من ذلك الشطر الدنانير، وفي بعض الحالات يبالغ في المهر فيشترط على الرجل مائة دينار من الذهب وما يليق به من حلي وثياب كما هو الشأن لبنات القضاة[3].

---

[1] الونشريسي: **المعيار**، ج163/9.

[2] الونشريسي: **المعيار**، ج193/11. انظر أيضاً محمد حجي: **نظرات فقهية**، ص 124.

[3] إسماعيل بركات: المرجع السابق، ج61/1.

وتحدث النوازل عن بعض العلاقات الشاذة التي ظهرت بالمغرب الأوسط بين الأولياء والأبناء إذ أن القاضي أبو المطرف الشعبي من بجاية سئل عن مسألة ذكر قاضيها أبو إسحاق بن الشرقي أن الفقهاء اختلفوا فيها عن امرأة كان لها ابن من زوج آخر وابنان من زوج آخر، فقامت بالتحيز لابنيها من الزوج الثاني دون ابنها الأول، ومنحهما جزئً مما تملك[1].

المطلب الثاني: المجتمع.

إن الدارس للبناء الاجتماعي للمغرب الأوسط مابين القرن 7و9 هجريين والذي تميز بسيطرة النفوذ الزياني، عليه البحث في المقاييس المتحكمة في تقسيمه ورصد بعض الفئات المكونة لبنيته الداخلية[2].فنجد أن البربر هم السكان الأصليون للمغرب حيث يشكلون غالبية سكان تلمسان الزيانية[3]، فيذكر عبد الرحمان ابن خلدون أنّ مواطنهم في سائر مواطن البربر بإفريقية والمغرب، فمنهم ببلاد النخيل مابين غدامس والسوس الأقصى[...] والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال: وطن زناتة [4]؛ولاسيما منها مغيلة ومغراوة *وبني يفرن *،وتأكد

---

[1]الونشريسي: **المعيار**،ج9/ 167.

[2]إسماعيل بركات: المرجع السابق،ج1 /63.

[3]الوزان: المصدر السابق، ج2/ 7.

[4] ابن خلدون: المصدر السابق، ج3/7.

*مغراوة: هم أوسع بطون زناتة، ينسبون إلى مغراو بن يصلتين، بن مسر بن زاكيا[...] إخوة بني يفرن وبني يرنيان . ابن خلدون: نفسه، ج33/7.

* بني يفرن: هم احدى بطون زناتة، متفرقين بالمواطن، فمنهم بافريقية ومنهم بنواحي تلمسان، وأيضاً في تاهرت وعلى حد قول ابن خلدون فإنهم هم الذين اختطوا مدينة تلمسان.ابن خلدون: نفسه، ج24/7.

إحدى الأبحاث أن العنصر البربري هو الغالب على سكان مدينة تلمسان ولاسيما من زناتة * التي ظهرت فيها طبقة ميسورة تصدرت المجتمع الزياني في هذه الفترة وتبوأت القيادة والمخزن وامتهنت الوظائف واحترفت الصناعة والتجارة والدراسات الفقهية وغيرها[1].

كما وجدت العناصر المشرقية التي حطت ترحالها بالمغرب الأوسط منذ دخول الفاتحين المسلمين واستمر العنصر العربي في التوافد على المغرب في عهد الولاة خلال القرن الثاني الهجري الثامن ميلادي، وشهدت القرن الخامس اكتساح قبائل بني هلال وبني سليم العربية بلاد المغرب، واستقرت في مناطق كبيرة وعندما أقام يغمراسن بن زيان الدولة الزيانية سنة 633هت1235م، حالف قبائل بني هلال واستقدم العديد منهم إلى ضواحي تلمسان للاستفادة من خدماتهم [2]، ووجد أيضا العنصر الأندلسي الذي توافد على بلاد المغرب الأوسط خصوصا في فترات الأزمات السياسية بالأندلس، وتضاعف عدد المهاجرين الأندلسيين لبلاد المغرب حينما تمكن الأسبان من الاستيلاء على أجزاء كبيرة من الأندلس، وفي هذا الصدد يذكر الونشريسي أنه لما سقطت حواضر المسلمين بيد الأسبان هاجر قسم كبير من أهاليها إلى المغرب، لكنهم حنوا للعودة إلى أوطانهم بعدما سمعوا أن ملوك قشتالة يتسامحون مع من بقي من المسلمين، وقد وجهه له أحد فقهاء الأندلس سؤالاً على شكل فتوى يطلب جوابها[3].

---

*زناتة: نسبتهم إلى البربر من ولد شانا، ومواطنهم في سائر مواطن البربر بأفريقية والمغرب. ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7/ص-ص3-7.

[1] فيلالي: **تلمسان**، ج1/ 171.

[2] فيلالي: نفسه، ج1/ ص 172-173.

[3] الونشريسي: **المعيار**، ج1/ أ.

واشتمل المجتمع التلمساني على بعض العائلات الغزية التي قدمت من المشرق وهي قبائل تركية، لم يكن لها الأثر الكبير في الحياة الاجتماعية أو الثقافية وهذا راجع لكونها اندمجت وانصهرت ضمن المجتمع المغربي، واستخدم بنو زيان فئة الأعلاج والصقالبة في بلاطهم كغيرهم من الدول الإسلامية، وهم عناصر من جنسيات أوروبية مختلفة برزت في عدة مراكز سياسية واجتماعية، وأيضاً في الجيش الزياني وصارت عنصراً من عناصر المجتمع التلمساني في العهد الزياني[1]؛ وجدت ضمن التركيبة السكانية عناصر من الأسرى والعبيد، وأيضاً وجد عنصر اليهود الذي استقر المغرب منذ العهد القديم، واستطاعوا العيش في كنف المسلمين تحث حمايتهم مقابل دفع الجزية التي قررها الشرع الإسلامي [2] ، وكانوا ينعمون بحرية أداء شعائرهم الدينية [3]، وفي هذه النقطة تضاربت أقوال المفتين حول قضية كنائس اليهود في إقليم توات من قصور الصحراء بالمغرب الأوسط، إذ كتب الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي بكر العصنوني من توات لفقهاء تلمسان وفاس أوردها الونشريسي في صيغة مطولة إذ شغلت 5 ورقات من كتابه[4]، وككل مجتمع ظهرت الطبقية في المجتمع الزياني بحيث أكد كل من بحث في دراسة الدولة الزيانية على وجودها، وارتأيت أن أقدم التقسيم الذي أورده الدكتور عطاء الله دهينة والذي ابتدأها بالفئة الخاصة أو الطبقة الحاكمة : والمقصود بها الفئة العليا في المجتمع كالسلاطين والأمراء من بني زيان والوزراء وكان هؤلاء أكثر شرائح المجتمع استفادة من الدولة بحكم وظائفهم

---

[1] فيلالي: **تلمسان**، ج1/ ص 180-184

[2] الونشريسي: **المعيار**، ج2/ 253.

[3] مختار حساني: **تاريخ الدولة الزيانية**، ج3/ ص- ص 80-81

[4] الونشريسي: **المعيار**، ج2/ ص- ص214-219

في تسير دواليب الحكم،والطبقة الثانية ممثلة في رجال الدين، وهم الفقهاء والقضاة والخطباء، أما الطبقة الثالثة أرباب السيوف وهم كما يظهر على اسمهم يشتغلون بالجيش؛ والطبقة الرابعة أرباب الأقلام وهم يشتغلون في الدواوين والكتاب، والطبقة الخامسة وهي طبقة أصحاب المهن والحرف والتجار والطبقة السادسة وهي طبقة الفلاحين وهم غالبية سكان الدولة الزيانية [1]، و لم أجد فئة العبيد والأسرى التي تعتبر من مكونات التركيبة الاجتماعية في هذا التقسيم الذي أعطاه إذ في هذا الباب وجدت كل من الباحثين فيلالي ومختار حساني يريدان وجود طبقة العبيد ضمن التركيبة السكانية، ويؤكدان على الدور الذي تلعبه خاصة عند الطبقة ذات المال والجاه [2]، وبما أن الدولة الزيانية كانت في أزهى عصورها فلا أستبعد وجود فئة العبيد ضمن التركيبة السكانية.

وبينت النوازل بعض المعاملات داخل البينة الاجتماعية، حيث تتجلى روح التكافل في المجتمع المسلم، بحيث حضي المرضى والأسرى بنوع من الاهتمام ورعاية من طرف أهل الخير من الأثرياء، فيذكر الونشريسي أن أحد المغاربة تصدق ببعض أملاكه على ابن له، فإذا توفي كانت هذه الأملاك صدقة على المرضى من أهل بلده، وتفيد نازلة أخرى من نوازله بأن امرأة أوصت بجزء مما تملكه لأحد الأسرى، وكثيرة هذه الحالات خاصة في الكوارث والأوبئة[3]، وسئل سيدي أبو عبد الله

---

[1] عطاء الله دهينة وآخرون: **الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني** المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، 1984، ج3/ ص- ص489-490. انظر أيضاً فيلالي: **تلمسان**، ج1/ 210. انظر أيضا مختار حساني: **تاريخ الدولة الزيانية**، ج3/ 83.

[2] فيلالي: **تلمسان**، ج3/ 224.

[3] كمال السيد أبو المصطفى: المرجع السابق، ص26.

السطي في هذا الصدد بظاهر تلمسان في العشر الأواخر من رجب عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة عمن أوصى بمعين مما يحمل الثلث ويصرفه على المساكين [1]، وأيضا وجدت ظاهرة الوزيعة التي أسردها الونشريسي ففي نازلة سئل فيها فقهاء بجاية حول جماعة اشتروا بهيمة للذبح ووزعوا لحمها على أسهم، فبالرغم عن صيغة السؤال إلا أنه يذل على التكافل فيما بينهم[2].

ولا يمكن أن يخلوا أي مجتمع من التصادم، إذ ورد في نازلة جاء بها الونشريسي عن رجل اشترى بيتاً قديما(خربة)، واشتكى على جيرانه أنهم يرمون فيها القمامة(الزبل)، في نفس الوقت اشتكى عليه جاره بأن الزبل الذي في خربته قد أضر جداره،وقد أفتى فيها الفقيه أحمد سعيد المديوني[3].

وجمعت لي النوازل هي الأخرى بعض الجوانب من السلوكيات والممارسات لأفراد المجتمع، والتي أصبحت فيما بعد عادات وتقاليد لم يستطع المجتمع الانحياز عنها حتى وإن كانت خاطئ بل اعتبروها مقدسة، ومن أهم الاحتفالات التي كانت تقام بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني: كالاحتفال بالأعياد الدينية، وبالمولد النبوي الشريف، فيذكر الونشريسي عن عادة اعتقاد أهل المغرب الأوسط في إعطاء المعلمين شمعاً في المولد النبوي[4]، وفي هذا الصدد وردة نازلة حول إحدى العادات التي ظهرت في المغرب الأوسط مست شريحة الفقراء تمثلت في شعائر دينية عقب كل صلاة جمعة، إذ سئل الإمام العالم أبو الفضل سيدي قاسم بن السعيد العقباني عن جماعة كبيرة من الفقراء جرت لهم ولمن تخلق

---

[1] الونشريسي: **المعيار**، ج9/ 370.

[2] الونشريسي: **المعيار**، ج6/ 125.

[3] الونشريسي:**المعيار**، ج36/9

[4] الونشريسي: **المعيار**، ج254/8.

بمثل أخلاقهم عوائد يفعلونها، فيجتمعون عقب كل صلاة جمعة في مجلس على شيخ يختارونه، ويجلب خديم الشيخ سبحة منظومة في خيط بها عدد معلوم قصد إحصاء التسبيحات والتهليلات فيكثرون من آيات قراءانية الواعظة راجين بها العفو والغفران، مثل قال تعلى:{ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[1]، كما يكثرون من صلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ويذكرون بعد ذلك أنواعا من الأذكار، ثم الدعاء والاستغفار، ويظهر على بعضهم حالة من الخشوع ترتب عنها بكاء خشوعاً، ويختمون مجلسهم بقراءة آخر كتاب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى"،ويقوم شخص من الحضور بإملاء أنواع من التذكيرات، ثم يقوم خديم الشيخ بإحضار الطعام، فيأكل منه الحاضرون إلا الصائمون [2]، وعليه تبين هذه العادة نوعا من التعاون على البر والتقوى والإرشاد إلى الطريق المستقيم.كما نزلت مسألة في أواسط القرن الثامن بمسجد الضريح سيدي أبي مدين شعيب بالعباد ظاهر تلمسان، حول عادة وضع ستائر على نعش الميت خاصة النساء والأطفال، وقد انتقد الإمامين أبو زيد وأبو موسى ابنا الإمام هذه العادة لكونها تدل على المباهاة والافتخار[3].

---

[1] سورة **الأعـــراف** ، الآية 23

[2] الونشريسي:**نوازل الجامع**،ص 62.

[3] الونشريسي: **المعيار**، ج1/ص-ص 345- 346.

المبحث الثالث: ملاح حول الحياة الفكرية.

المطلب الأول: المدرسة في المغرب الأوسط (نموذجا).

لقد دخل المغرب الأوسط عهدا حافلاً راجع هذا إلى تضافر عدة عوامل عديدة أدّت إلى ازدهار الحياة الفكرية، منها ما أبداه ملوك بني زيان من تشجيع للعلم والعلماء، طيلة ما يزيد ثلاثة قرون، والمنافسة التي كانت قائمة بين ملوك المغرب الإسلامي في مجال العلوم والآداب [1]، فحسب قول ابن خلدون فإن تلمسان قد احتضنت عددا من المراكز الدينية والعلمية ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام، وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية[2].

ومما أكدته المصادر فإن التعليم كان منتشر في شتى مدن الدولة الزيانية ومعظم قراها، وانحصر في بدايته على التعليم في الكتاتيب والمساجد، إذ ي مارس فيها حفظ القرءان وتعلم الكتابة والقراءة، ثم تطور لينتقل إلى دراسة النحو واللغة والأدب والفقه، ومن يريد التعمق أكثر فيوجه لدراسة العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه وتوحيد، والعلوم العقلية والاجتماعية والأدب، وهذا في المساجد الكبرى مثل المسجد الأعظم بتلمسان، الذي كان شبه جامعة على النمط القديم، مثل جامع القرويين بفاس، وجامع الزيتونة بتونس[3].

---

[1] عبد الحميد حاجيات، وآخرون: **الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، 1984، ج3/ 437.

[2] ابن خلدون: المصدر السابق، ج7/ 105.

[3] عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ج3/ 438.

ويوجد في كتاب المعيار معلومات قيمة عن الحياة التربوية في المغرب الإسلامي، والمدرسة منها بوجه خاص، إذ شهد الونشريسي صوراً مزدهرة منها في تلمسان وفاس، وكل نوازله جاءت على شكل ردود للفقهاء، إلا أن نوازل المعيار على حدّ استنتاج الباحثة وداد القاضي، قد صمت صمتاً تاماً عن ذكر المدارس حتى القرن السابع هجري، باستثناء ما رصدته بعض المصادر بحيث أسهبت في الحديث عن ما أنشأه المرينيون بالمغرب الأقصى والمغرب الأوسط، وبنو زيان بتلمسان من المدارس خاصة في القرن الثامن هجري، وذهبت إلى القول بأن بناء المدارس أصبح ينافس بناء الجوامع أو يتفوق عليه، وأصبح اجتذاب المشهورين من الشيوخ وإسناد التدريس إليهم أو إنشاء المدارس من أجلهم وهو موضع تنافس حيوي بين الحكام الدول تلك [1].كما احتوي المعيار أيضاً على نوازل كثيرة عن تعليم الصبيان القرءان في الحواضر، إذ سئل أبو محمد بن أبي زيد عن المعلم هل يلزمه أن ينظر في ألواحهم وإصلاح ما فيها من خطأ في الأحرف أم لا؟، فكان جوابه أنه يلزم عليه النظر في ألواحهم وإصلاح ما فيها من خطأ كما ينبغي أن يعلمهم إعراب القرءان والشكل والهجاء والخط الحسن وحسن القراءة بالترتيب وأحكام الوضوء والصلاة وفرائضها وسننها وصلاة الجنائز ودعاءها وصلاة الاستقاء والخسوف[2].

وما يهمني في هذا المطلب هو دراسة المدرسة في المغرب الأوسط، إذ أن في عهد بني زيان أسست خمسة مدارس، وأول مدرسة هي التي أمر ببنائها أبو حمو موسى الأول (707-718ه) وهذا

---

[1] وداد القاضي: المقال السابق، ص- ص64-65.

[2] محمد حجي: **نظرات فقهية**، ص118.

في أوائل عهده، وعين للتدريس فيها الأخوين ابني الإمام، ثم ابتنى ابنه أبو تاشفين الأول(718-737ه) المدرسة التاشفينية بجانب الجامع الأعظم [1]، وحسب ما أثبته ابن مرزوق فإن السلطان أبي الحسن قد ابتنى مدرسة بقرية العباد في ظاهر تلمسان [2]، وفي أيام التوسع المريني على حساب أراضي المغرب الأوسط، تم ابتنى أبي عنان المريني(745ه- 1454م) مدرسة بالقرب من ضريح الولي الصالح سيدي عبد الله الشوذي الاشبيلي الملقب بالحلوي، وأخيراً المدرسة اليعقوبية التي قام السلطان أبي حمو موسى الثاني بتأسيسها تخليداً لوالده أبي يعقوب، الذي أدركته الوفاة سنة 763ه-1362م، وكان أبو حمو الثاني أمر بدفن أبيه برياض يقع بالقرب من باب إيلان، ونقل رفات عميه، أبا سعيد وأبا ثابت من مدفنهما القديم بالعباد، إلى جوار ضريح والده،ثم شرع في بناء مدرسة بإزاء أضرحتهم، وأوكل للعالم الشيخ الشريف الحسني أبي عبد الله(ت771ه-1370م) بالتدريس فيها وهي المدرسة التي أشاد المؤرخون برونقها وجمالها وحسن عمارتها[3]، وكانت جل مواردها التي تمولها من أوقاف خصصها الحكام، فالمحبس يوفق على المدرسة مثلاً دكاكين أو أرحاء أو بيوت، أو حماماً أو أرضاً،وهذا ما رصده الونشريسي ضمن إحدى نوازله إذ ذكر أن السلطان أبي زيان محمد بن موسي بن يوسف بن عبد الرحمان بن يغمراسن بن زيان قد أحبس وقفاً على مسجد [4]، ومنه فأن حكام بني زيان قد أنفقوا على المدارس من أجل ازدهار الحركة

---

[1] عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق،ج3/ 438.

[2] وداد القاضي: المقال السابق، ص66.

[3] فيلالي: **تلمسان**، ج1/ 144. اَنظر أيضاً وداد القاضي: المقال السابق، ص67.

[4] الونشريسي: **المعيار**، ج237/7.

الفكرية والعلمية، ومن بينهم السلطان أحمد العاقل(834-866ه)، الذي سخر الأوقاف لفائدة المشاريع الدينية والتعليمية والاجتماعية[1].

المطلب الثاني: مناهج التدريس

أما طريقة التعليم المتبعة، فكانت طريقة الإلقاء والشرح بحيث يقوم أحد الطلاب بقراءة نص من كتاب مشهور في المادة المدرسة، ويتولى الأستاذ شرحه فقرة بعد فقرة، حسب ما يتيسّر له من غزارة حفظه وسعة اطلاعه، والطلبة يقيدون في كراريسهم ما يسترعي انتباههم من شرح الأستاذ وأجوبته على أسئلة الطلبة [2]، وتذكر الدكتورة وداد القاضي على أن نوازل المعيار قد أعطت معلومات قيمة حول أنظمة التعليم، ففتاوى الشيخ أحمد بن محمد زكرياء التلمساني تتحدث عن طبيعة العام الدراسي، وكيفية استغلال أشهر السنة خاصة فصل الشتاء والذي يعتبر أكثر حيوية، ففي المدرسة اليعقوبية بتلمسان ذكر ابن مريم أنه كان يدرس بها التفسير والحديث والفقه والأصول في فصل الشتاء، والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة في فصل الصيف، وأن يومي الخميس والجمعة كانا مخصصان لدرس التصوف[3].

ولا يخلوا أي نظام في المدرسة من سياسة الردع والعقوبات، فقد أوردت النوازل العقوبات التي كانت تتخذ لطلاب الذين يقصرون في أداء الواجب، أو الذين يعجزون عن الفهم والإستعاب،

---

[1] عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ج3/ 433.

[2] عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق،ج438/3.

[3] وداد القاضي: المقال السابق، ص 76.

إذ أن بعض الشيوخ كان يتخذ لغة التوبيخ من سب وشتم، وهذا ما أورده ابن عرفة بحيث شاهد أحد شيوخه يزجر بعض الطلبة بنعتهم بألفاظ{ الثور، الحمار، أذهان البقر} [1]، وأما العقوبة التي تتعدى الزجر وقف الكتّاب، بحيث كان الضرب يتجاوز العشرين عصى على باطن الرجل[2].

المطلب الثالث:حركة التأليف.

لقد ازدهت حركة التأليف، بالمغرب الأوسط طيلة عهد بني زيان، فظهرت تأليف في شتى العلوم .

1 -العلوم النقلية: (علم القراءات والتفسير، علم الحديث، علم الفقه).

والتي برع فيها العديد من المفسرين التلمسانين الذين اشتغلوا بعلم القرءان، لكن أغلبهم كان يعتمد على الأثر في تفسيره وهم قليلو التأليف، فأشارت النصوص التاريخية كابن مريم، الذي قال عن الفقيه سعيد بن محمد العقباني(ت 811) "أتى فيها بفوائد جلية "، أي في تفسير سورة الأنعام ومريم[3].

وأبو إسحاق التنسي(ت 680ه)، الذي أخذ عنه الكثير من الطلبة في العلوم الدينية من أشهرهم، أبو عبد الله بن مرزوق جد الجدّ، وأشهر تأليفه شرح كتاب تلقين المبتدأ وتذكرة المنتهي لأبي عبد الوهاب المالكي، في الفروع.

---

[1] الونشريسي: **المعيار**، ج 8/ 257.

[2] وداد القاضي: المقال السابق، ص 76.

[3] إسماعيل بركات: المرجع السابق، ج1/ 105.

أبو عبد الله بن مرزوق(ت 681ه)، وأبو إسحاق التلمساني(ت 690ه) اشتهر بأرجوزته في الفرائض التي ألفها وعمره لايتجاوز 21سنة،وأبو الحسن التنسي(ت 706ه)، أبو زيد الإمام(ت743ه)ومن تأليفه شرحه على مختصر ابن الحاجب في الفروع، أبو عبد الله المقري(ت 795ه)من بين مؤلفاته كتاب الحقائق والرقائق في التصوف، وكتاب عمل من طب لمن حب، وكتاب القواعد.

وأيضاً ابن إدريس البجائي(ت 760ه) ألف شرحاً على ابن الحاجب في الفروع، ونقل عنه ابن عرفة وابن زاغو وغيرهما، أبو عبد الله الشريف التلمساني(ت 771ه) من تآليفه مفتاح الوصول في علم الأصول، وابن مرزوق الخطيب(ت 781ه) الذي اشتهر من مؤلفاته شرح على ابن الحاجب الفرعي وعنوانه إزالة الحاجب على فروع ابن الحاجب، وشرح البردة.

ومحمد بن أحمد العقباني(ت 871ه) له كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر، محمد بن يوسف السنوسي(ت895) ومن أهم تصانيفه: عقيدة التوحيد الكبرى، وشرحها والمقدّمات المبنية للعقيدة الصغرى، وشرح جواهر العلوم للعضد، ومختصر حاشية التفتازاني على الكشلف، وتفسير سورة(ص) وما بعدها من السور، وشرح صحيح البخاري، ومختصر في القراءات السبع.

وأيضاً تعتبر مؤلفات أبو العباس الونشريسي (ت914)، من أشهر مؤلفات التي ظهرت في تلك الفترة[1].

[1]عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ج3/ ص- ص 441-446.

2 -العلوم الأدبية: (الأدب، والتاريخ).

أما إسهامات المؤلفين اللُّغوية، التي أشارت إليها كتب التراجم، ونبغ الكثير من الكتاب والشعراء واهتم علماء الدين باللغة والبلاغة وغيرها من العلوم لما لها اتصال وثيق بعلم القرءان والحديث، ومن أبرز العلماء في هذا المجال:

أبي عبد الله محمد ابن العباس(ت 871ه) له تآليف منها شرح لامية الأفعال، ونجد أيضاً الشيخ أبو عبد الله محمد الشريف(ت 847ه) قال عنه ابن مريم:"قرأت عليه تلخيص المفتاح وبعض التسهيل لابن مالك، ومفتاح الأصول للسيد الشريف التلمساني، وحضرت عليه بعض الألفية وبعض المرادي عليها" وصنف مختصراً في شرح التسهيل سَّماه "الثاقب في لغة ابن الحاج"، وأيضاً ابن مرزوق الذي قال عنه ابن مريم أنه:" كانت له أوقات كلها معمورة من قراءة وتدريس علم وفتيا وتصنيف"، وأضاف بأنه قرأ عليها إعراب القرءان والألفية والكافية، واستوفى في شروحه الأكبر للبردة المسمَّى" إظهار صدق المودة في شرح البردة،" واختصر شرحاً صغيراً على البردة سماه "الاستعاب لما فيها من البيان والإعراب"[1]، وأيضاً وجد مصنف لمحمد بن عبد الله التنسي" راح الأرواح فيما قال المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح"، والطرز في رسم الخرز، وفهرسة مشائخه[2].

---

[1]ابن مريم : المصدر السابق، ص223.

[2]عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق،ج3/ 450.

وقد استوفى مؤرخونا نصيبهم من علم التاريخ بحثاً ودراستاً، فنجد التنسي قد ألف كتاباً سماه" نظم الدَّر والعقيان في بيان شرف بني زيان" ويعتبر أهم مصنفه في تاريخ الملوك، أرخ فيه صاحبه لتاريخ بني زيان منذ ظهور دولتهم حتى عهد السلطان أبي عبد الله محمد المتوكل(866-873ه).

وقدم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن صعد(ت901ه) مؤلفاً في التراجم غاية في الأهمية سمَّاه:" النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب"، تحدث فيه عن تراجم الأولياء والصلحاء من مختلف العجم[1]، وأيضاً تأليف لابن مرزوق الحفيد، ألفه في هذا الفن سماه:" إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم"، وقد أوردها الونشريسي ضمن كتابه المعيار في عدد معتبر من الصفحات جاءت على شكل منظرات بين الفقهاء[2].

3 -العلوم العقلية: (الرياضيات، الفلك، المنطق).

كذلك برز في العلوم العددية القاضي سعيد العقباني، بمؤلف شرح فيه كتاب الحوفي في الفرائض مستخدماً الكسور الاعتيادية، وشرح تلخيص ابن البناء، وقصيدة الياسمين في الجبر والمقابلة.

وأيضاً لابن زاغو مؤلفات في هذا العلم" منتهى التوضيح في عمل الفرائض من الواحد الصحيح"، وأيضاً نجد في هذا الباب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحي الشهير ابن الحباك(ت 867ه) له مؤلف تلخيص أعمال الحساب.كما اشتهر بمؤلفه في علم الفلك ووضع أرجوزة سمَّاها:" بغية الطلاب في علم الاسطلاب"، ونجد محمد بن يوسف السنوسي(ت895ه) وضع هو الآخر قد شرحها

[1] ابن مريم: المصدر السابق، ص207-208.

[2] الونشريسي: **الجامع**، ص- ص 512-538.

تحث عنوان "عمدة ذوي الألباب ونزهة الحلطاب في شرح بغية الطلاب في علم الاسطرلاب"، كما نجد في علم المنطق محمد بن يوسف السنوسي نذكر منها: شرح إيساغوجي لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(ت885ه) ، كما له بعض الشروح كشرح الموجهات، ومختصر في علم المنطق[1].

وفي الأخير نستخلص من هذا الفصل أن المغرب الأوسط تميز بعدة خصائص ساعدته بوجود الزراعة والصناعة والتجارة، وأيضاً قدمت النوازل معطيات حول الحياة الاجتماعية وانفردت بها عن المصادر الأخرى فذكرت أنها تحدث عن المرأة وأيضاً عن العلاقات الزوجية والبعض العادات التي شهدها المغرب الإسلامي.

وبالنسبة للحياة الفكرية فإنها هي الأخرى تميزت بكثرة التأليف، إذ أن عصره الونشريسي نفسه شهد تشجيع كبير من الحكام التلمسانيون والمرنيون.

[1] إسماعيل بركات: المرجع السابق، ج1/ 114.

خـــاتـــمة

الخـــــاتـــمـــة:

وفي الأخير ما أخلص إليه من دراسة: دور النوازل في كتابة تاريخ المغرب الأوسط كتاب المعيار للونشريس نموذجاً، ق7- ق9ه/ ق13- ق15م، إلى أهم النقاط:

- ✓ اهتمام الدراسات التاريخية بموضوع النوازل، إذ يلاحظ مبادرة المستشرقون في العمل عليها، وأيضاً انكباب المدرسة المغربية بقيادة أهم ركائزها محمد حجي ومحمد مزني على الانتهال منها، وأيضاً سلوك المدرسة الجزائرية نهج المغاربة والمستشرقين.
- ✓الدور الذي لعبته النوازل الثوتيقية إذ مثلت حكاية التاريخ الاجتماعي والاقتصادي وثقافي ل مجتمعات إسلامية سكتت عنها الدراسات التقليدية.
- ✓تعتبر شخصية أبو العباس الونشريسي من بين أهم الشخصيات التي خسرها المغرب الأوسط بسبب ضغينة الحكام والأفراد.
- ✓إن نوازل المعيار والتي أوردها صاحبها في اثني عشراً جزءًا تمثل موسوعة نوازلية ضخمة يستفيد منها الفقيه وعالم الاجتماع والقاضي والمتخصص في الحياة الاقتصادية، بحيث أنها عكست صورة عن واقع تاريخي مثلت الفترة الزمنية المدروسة مابين القرنين 7-9هـــ.
- ✓والمطلع على المدونة المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، يتلمس ذلك الكم المعرفي في كل فنون الحياة في المغرب الأدنى والأقصى والأندلس عموماً والمغرب الأوسط خصوصاً راجع إلى أن الونشريسي اعتمد على جزء كبير من فتاوي المازوني.

✓ويفهم من خلال تتبع ترجمة شيوخ الونشريسي خاصة الذين أخذ عنهم في تلمسان عن وجود مدرسة جزائرية روادها أعمدة الفقه والعلوم بشتى أنواعها، وعليه يستنتج أن هذه المدرسة تفند المقولة القائل بأن المغرب الأوسط كان ممرَّ عبور بين المغربين الأدنى والأقصى.

وفي الأخير أخلص في تعريف بسيط لنازلة ذكره جاك بيرك أنها :

هي خطاب الموضع حول نفسه

من خلال تتبع كتب التراجم تبادر إلى ذهني موضوعين يستحقان أن يكونا محل بحث ودراسة للباحثين:

- المدرسة الفقهية للمغرب الأوسط من خلال كتاب ابن الأحمر " علماء الدولة الزيانية نموذجاً ".
- الجوانب الحضارية لمنطقة الونشريس من خلال كتاب الوفيات لابن العباس الونشريسي 701-912هـ.

الملاحق

الملحق الأول:

نص نوازلي يشير إلى مقدر الجزية على يهود البادية:

"وسئل سيدي القاسم العقباني عن يهود سكنوا البادية ويتجرون في أنواع المتاجر وبعضهم سكنوا الحاضرة وتطول إقامتهم في البادية، هل تؤخذ الجزية من جميعهم؟[....] فأجاب يهودي منهم وذكر وهو تحت حكم الإسلام وصونه ضرب عليه الجزية، وقدرها أربعة دنانير أو أربعون درهماً بالوزن الشرعي على كل شخص "[1]

[1] أحمد بن يحي الونشريسي: **المِعْيَارْ المُعرَبْ والجَامعْ المغربُ عَنْ فتاوي علماء إفريقية وَالأُندلس وَالمغرب** تح محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1981، ج253/2.

الملحق الثاني:

نص نوازلي يبين اهتمام السلاطين الزياني بالمدارس والمساجد:

"مسجد حبس عليه ناس أحباساً ومن المحبوسين ملوك وغيرهم" [1]

الملحق الثالث:

نص نوازلي مسمى كتاب الروض البهيج في مسائل الخليج تأليف محمد بن مرزوق، بين لنا مسار شبكة المياه بالمدينة.

مسألة وقعت بتلمسان أيام الشيوخ فسئل عنها شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق[....] وهي بلد كبير وبه حمامات ومدارس ودور يجري لها كلها ماء يدخل من خارجها من الجهة الفوقية[...] إلى أن يخرج من الجهة السفلية من البلد المذكور[2].

[1] الونشريسي: المعيار، ج237/7.

[2] الونشريسي: نفسه، ج335/5-334.

الملحق الرابع:

نص نوازلي يشير إلى علاقة صاحب العمل مع العمال

"وسئل المازري عن الصانع يدعي أنه عمل على غير اتفاق(عقد) ويدعي رب المال ما يشبه وربما اختلفت الصنائع فتكون العادة بعضها على وفق الصانع وفي بعضها على وفق رب المال"[1].

الملحق الخامس:

نص نوازلي يشير إلى أرض الظهار:

جوابكم في رجل وجد أرضاً بمقربة من العباد مضت عليها سنون وهي دائرة لا يعلم لها مالك وافتتحها وخدمها وغرسها[2].

---

(1) الونشريسي: المعيار، ج221/8.

(2) الونشريسي: نفسه، ج117/5.

بيبليوغرافيا

المـــــــــصـــــــــادر العليا:

القرآن.

المصادر:

1. ابن خلدون عبد الرحمن: **تاريخ ابن خلدون العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ، تح، خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط.م، 2002.

2. البرزلي أبي القاسم بن أحمد : **فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام** من القضايا بالمفتين والحكام، تح محمد الحبيب الهيبة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002،ج1.

3. التلمساني ابن مريم : **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،** صح ابن شب، المطبعة الثعالبية، الجزائر ، 1908.

4. التنبكتي أحمد بابا: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تح، عبد الله الهرامة وآخرون، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989، ج1- 2.

5. الضبي أحمد: **بغية الملتمس**، في تاريخ رجال أهل الأندلس علمائها وأمرائها وشعرائها وذوي النباهة فيها ممن دخل إليها أو خرج عنها، مطبع روخس، مدينة مجريط، 1884.

6. عياض القاضي: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب مالك** ، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج1.

7. المغلي أبو زكرياء يحي المازوني: **درر المكنونة في نوازل مازونة** ، تح، مختار حساني، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، د.ط، 2004،ج1

8. المكناسي أحمد ابن القاضي: **جذوة الإقتباس** في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، دط، 1973،ج1، ص 156.

9. الوزان حسن: **وصف إفريقيا**، تج، محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983،ج2.

10. الونشريسي أحمد بن يحي:

المِعْيَارْ المُعرَبْ والجَامعْ المغربُ عَنْ فتاوي علماء إفريقية وَالأُندلس وَالمغرب ، تح محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1981.

النوازل الجامعة أو نوازل الجامع، تح،شريف المرسي، دار الأفاق، القاهرة، ط1، 2011.

الوفيات، تح،محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر.

كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، تع، محمد الأمين بلغيث، منشورات لافوميك، الجزائر، 1985 .

11. كربخال مارمول: إفريقيا، تج، محمد حجي وآخرون، دار النشر للمعرفة، الرباط، د ط، 1989،ج2

الـــمـــــراجـــــــع :

1. الصمدي مصطفى: **فقه النوازل عند المالكية (تاريخا ومنهجا)**، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2003

2. حاجيات عبد الحميد حاجيات، وآخرون: الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1984،ج3.

3. حجي محمد:

موسوعة أعلام المغرب،دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1، 1996، ج2.

نظرات في النوازل الفقهية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة و النشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1، 2000

4. حساني مختار: **تاريخ الدولة الزيانية** (الأحوال الاجتماعية)، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007،ج2

5. دهينة عطاء الله وآخرون: الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1984،ج3

6. سعد الله أبو القاسم: **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003.

7. سعيدوني ناصر الدين: **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي** ترجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1999،1.

8. سيدي عمر عبد العزيز: **قطف الزهرات من أخبار علماء توات**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1985.

9. فتحة محمد: **النوازل الفقهية والمجتمع**:(أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6إلى 9هـ/12-15م)، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1999.

10. فيلالي عبد العزيز:

بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط،2010،ج1.

تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2011، ج1.

11. كرم إدريس: **العلاقات الاجتماعية من خلال النوازل الفقهية بالمغرب**، دار البيضاء، ط1،2005.

12. محفوظ محمد: **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994، ج1.

13. مخلوف محمد بن محمد: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية، القاهرة،(دط)، 1928، ج1.

14. ولد السعيد محمد المختار: **الفتاوى والتاريخ** دراسة لمظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في موريتنيا من خلال فقه النوازل دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000.

15. مجموعة أساتذة، **المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل**، منشورات مخبر العلوم الانسانية، بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة،الجزائر، ط1، 2011.

الـــمـــــراجـــــــــع و المقالات باللغـــة الأجنبيـــة :

1. R. Brvnschvig,STVDIA ISLAMICA, Maisonneueve- larose, Paris
2. Philippe sénace **:le maghreb ,al-Andalus et Méditerraneé occident-ale** (VIII^{e}-XIII^{e}sicles) , CNRS- université de toulouse- Le irail colle.

الرســـائـــل الجـــامعـــيـــة :

1. بركات إسماعيل: **الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبو زكرياء المغيلي المازوني،** رسالة ماجستير، إشراف د/ عبد العزيز فيلالي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010، ج1.

2. بن علي طاهر : **دور النوازل في الكتابة التاريخية نوازل الأندلس في القرنين(8و9ه/14و15م) نمودجاً،** أطروحة دكتوره ، إشراف د/ الحاج عيفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 1435ه /2014م.

3. بن مطلق الرميح محمد: **النوازل الفقهية المالية من خلال كتاب المعيار للإمام الونشريسي ت 914ه،** دراسة نظرية وتطبيقية، رسالة ماجستير في الفقه، إشراف د/ ستر بن ثواب الجعيد، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى السعودية، 1432ه/2011م.

4. بوتاريه أسماء: **نظام المساقاة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي** ، إشراف د / بوبة مجاني، مذكرة ماستر في تاريخ بلاد المغرب الحضاري في العصر الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة قسنطينة2، 2013/2012.

5. سالمي زبير : **قضايا المياه في المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل المعيار المعرب للونشريسي أنموذجا** من القرن 7ه إلى القرن 9ه/ 13-15م، إشراف د/ خالد بلعربي، مذكرة شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،جامعة سيدي بلعباس، 2013/2012.

6. كربوع مسعود : **نوازل النقود والمكايل والموازين في كتاب المعيار للونشريسي** جمعا ودراسة وتحليلاً، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ، إشراف د/ رشيد باقة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013/2012.

7. مطامعي حسناء: **التنظيمات التجارية بالمغرب الوسيط من خلال كتب النوازل** ، مذكرة لنيل شهادة الماستر 2 في تاريخ بلاد المغرب الحضاري في العصر الوسيط، إشراف د/ سهام دحماني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، السنة الجامعية2013/2012م.

المقـــــالات في المجـــلات والملتقيـــــات:

1. استيتو محمد: **النوازل وطبيعة مصادرها وحدودها وتوظيفها في الكتابة التاريخية** ، مجلة كلية الآداب، وجدة، ع1995،5.

2. البوعبدلي المهدي: **الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام أحمد بن يحي الونشريسي**، مجلة الأصالة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ع83-84، 2011،

3. التمسماني خلوق عبد العزي ز: **عطاء التراث الفقهي: الهادي روجي إدريس ونوازل البرزلي**، مجلة دار النيابة، الدار البيضاء، ع11، 1986.

4. محمد ياسر الهلالي: **نوازل المغرب و الأندلس خلال العصر الوسيط تقديم وترتيب بيلوكرونولوجي**، دعوة الحق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع396 ،2010.

5. بحاز إبراهيم: **ملامح من المجتمع الميزابي في بعض تراث الشيخ امحمد بن يوسف طفيش (ت1914)**، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ / 18-19م من خلال المصادر المحلية، الملتقى الوطني الثاني (يومي 24-25 جانفي 2012)، بالمركز الجامعي بالوادي، 2012.

6. بلبشير عمر: **ورقات عن حياة وآثار الونشريسي صاحب المعيار** ، مجلة عصور ، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، ع 4-5، الجزائر، 2003-2004،

7. خلوف عبد العزيز : **قيمة فقه النوازل التاريخية** ، البحث العلمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ع29-30، 1979.

8. دنون طه عبد الواحد : **كتب الفتاوى مصدر للتاريخ الأندلسي** ، المجلة العربية للثقافة ، المنظمة العربية لثقافة والعلوم، ع27، 1994 .

9. مجاني بوبة: **كتب النوازل والأحكام مصدر لتاريخ الاجتماعي العصر الزياني نموذجاً** ، ملتقى التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، منشورات مخبر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة،2001.

10. مزني محمد: **حصيلة اِستعمال كتب النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية المغربية** ، البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، كلية العلوم الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1989.

11. مزين محمد : **التاريخ المغربي ومشكلة المصادر، نموذج: النوازل الفقهية** ، مجلة كلية الآداب، فاس، ع خاص2، 1985.

12. منصوري عثمان: **حدود إسهام الفتاوى في التاريخ الاقتصادي المغربي** ، مجلة الأمل، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ع7، 1996.

المـــعـــاجـــــم والقـــــواميـــــس:

1. ابن منظور جمال الدين: **لسان العرب** ، تح، عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، مج 6،

2. الفراهيدي الخليل بن أحمد: **كتاب العين** (مرتب على حروف المعجم)، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،2002،ج4، ص 213.

3. رضا أحمد: **معجم متن اللغة**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960، ج5، ص422.

4. مجوعة مؤلفين : **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولي، مصر، ط5، 2011.

فهـــرس

الـــمحتويات

فـــهـــــرس الـــمحـــتـــويـــــات :

شكر وعرفان

الإهداء

المـــقـهـدمة ..... أ– خ

الفصل الأول: النوازل و الدراسات التاريخية..... **11–29**

المبحث الأول : النوازل **12**

المطلب الأول : تعريف النوازل **12**

المطلب الثاني : أهمية النوازل في التوثيق التاريخي. **14**

المطلب الثالث:خصائص النوازل التوثيقية. **15**

المبحث الثاني: للنوازل واهتمامات المؤرخين. **18**

المطلب الأول: اهتمامات المستشرقين.....**18**

المطلب الثاني: اهتمامات المدرسة المغربية.....**20**

المطلب الثالث: اهتمامات المدرسة الجزائرية. **24**

المطلب الرابع: نماذج لمدونات النوازل. **25**

الفصل الثاني: أبو العباس الونشريسي وكتابه المعيار. **30–46**

المبحث الأول : نبذة عن أبو العباس الونشريسي. **31**

المطلب الأول : نسبه و نشأته. 31

المطلب الثاني : شيوخه وتلاميذه. 34

المبحث الثاني : الإنتاج الفكري للونشريسي. 38

المطلب الأول : مؤلفاته. 38

المطلب الثاني : دراسة كتاب المعيار. 41

الفصل الثالث: الملامح الحضارية للمغرب الأوسط..... 48-76

المبحث الأول : ملامح حول الحياة الاقتصادية. 49

المطلب الأول: الزراعة 49

المطلب الثاني : الصناعة 54

المطلب الثالث: التجارة.....56

المبحث الثاني : ملامح من الحياة الاجتماعية. 60

المطلب الأول: الأسرة.....60

المطلب الثاني : المجتمع.....62

المبحث الثالث : ملامح من الحياة الفكرية. 68

المطلب الأول: مؤسسات التعليمية 68

المطلب الثاني: مـــنـــاهـــــج الـــتدريـــس.....71

المطلب الثالث: حركة التأليف. 72

خاتمة. 77

قائمة المصادر و المراجع 84-90

فهرس الموضوعات 91-93

الملخص.....94-95

الملخص

ملـــــخـــــص الدراســـــــة:

العنوان: دورالنوازل في كتابة تاريخ المغرب الأوسط نوازل المعيار نموذجاً ق 7-ق9هـ/ق13-ق15م.

تعتبر النوازل من أهم الوثائق التاريخية التي أشار إليها المؤرخون المغاربة والجزائريون والمستشرقون، وصنفوها من ضمن الوثائق التاريخية التي تستدعي الدراسة، هذا لاشتمالها على خبايا تاريخية في عدة جوانب كالاقتصاد والاجتماع والثقافة التي سكتت عنها الدراسات العتيقة وهذه الأخيرة اعتنت بالجوانب السياسية.

وامتازت نوازل المعيار كونها تضم العديد من النصوص لفقهاء جمعها صاحبها من خلال ما وصله من تآليف جلها ضاعت ضمن ما ضاع من التراث في القرون السابقة، وعليه فهي تعتبر من أضخم المدونات النوازلية التي شهدتها ساحة التأليف الفقهي؛ وشخصية مؤلفها أبو العباس الونشريسي كانت لها وزن في كلا الحاضرتين تلمسان وفاس، كما أن البيئة العلمية التي نهل منها لعبت دور بارز في صقل هذه الشخصية.

وعليه فإن النوازل خاصة نوازل المعيار قدمت العديد من الإفادات عن صورة النشاط الاقتصادي داخل مجتمع المغرب الأوسط إذ أعطت إفادات عن علاقات التجار والزبائن؛ كما رصدت قضايا فردية وجماعية خصت بآداب السلوك والتعامل بين أفراد المجتمع، وعن العادات والتقاليد وأيضاً رسمت صورة واضح عن المجال الفكري واهتمام الحكام والسلاطين به.